

أخبار الدولة الحمدانية

بالموصل وحلب وديار بكر والثغور

صنفه

علي بن ظافر الأزدي

(٥٦٧-٦٢٣ هـ / ١١٧٢ - ١٢٢٦)

حققته وقدمت له

تميمة الرواف

دار حسان
للطباعة والنشر

الْمُوصِل
تَارِيخ وَتُرَاث



@MOSUL123

أخبار الدولة الحمدانية

بالموصل وحلب وديار بكر والثغور

صنفه

علي بن ظافر الأزدي

(٥٦٧-٦٢٣ هـ / ١١٧٢ - ١٢٢٦)

حققته وقدمت له

تميمة الرواف



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

نشطت حركة التدوين التاريخي في العصر الأيوبي، وشهد هذا العصر نبوغ عدد كبير من المؤرخين، منهم من اهتم بتاريخ الاسلام بشكل عام ومنهم من اهتم بحوادث عصره و بموضوع تاريخي محدد، ويلاحظ الباحث في الحركة الأدبية العامة في هذا العصر بداية ظهور كتب الموسوعات، الفن الذي تطور تطوراً كبيراً فيما بعد في العصر المملوكي.

ولقد كان علي بن ظافر الأزدي رائد الحركة الموسوعية التاريخية في هذا العصر، وذلك بتصنيفه كتابه «أخبار الدولة المنقطعة».

وكان علي بن ظافر من أعلام عصره، فقد ولد لأب اشتهر بالعلم والفقه المالكي والحديث وهو «الامام أبو المنصور ظافر بن الحسن الأزدي الأسكندراني المولد، المصري الدار والوفاة بمصر، ومولده في جمادى الآخرة سنةسبع عشرة وخمسمائة [١١٢٣م]. تفقه على مذهب الامام مالك بن أنس . . . . . وقدم مصر وتولى التدريس بمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق بمصر مدة طويلة، الى حين وفاته [سنة ٩٧ هـ/ ١٢٠١م] وانتفع به خلق كثير، ونشر الله تعالى به علماً جماً، وتخرج به جماعة من الشافعية والمالكية، وكان يدرس في أول النهار، ثم يجيء بعد الظهر للمناظرة الى العصر، ويأخذ درساً بعد العصر والمناظرة بين العشائين» (١)

---

١ ـ التكملة لوفيات النقلة. ط. بغداد: ٢/ ٢٧٧.

« ولد [علي] سنة سبع وستين وخمسمائة [١١٧٢م] وقد تفقه على والده وقرأ الأدب وبرع فيه ، وقرأ على والده الأصول ، وبرع في علم التاريخ وأخبار الملوك ، وحفظ في ذلك جملة وافرة ، ودرس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه ، وترسل الى الديوان العزيز ، وولي وزارة الملك الأشرف ، ثم انصرف ودخل مصر ، وولي وكالة بيت المال مدة ، وكان متوقد الخاطر ، طلق العبارة ، ومع تعلقه بالدنيا كان له ميل كبير لأهل الآخرة ، محباً لأهل الدين والصلاح ، أقبل في نهاية عمره على مطالعة الأحاديث النبوية ، وأدمن النظر فيها » .

على هذا شغل علي بن ظافر عدة وظائف عالية في الادارة المملوكية في الشام مدة ثم في مصر ، إنما على الرغم من انشغاله بالعمل الديواني والسياسي تابع تحصيله العلمي ، ولم يكتف بذلك بل صنف عدداً كبيراً من الكتب في التاريخ والسياسة والأدب ، وكان ينظم الشعر ، وقد أورد الذين ترجموا لحياته بعض مانظمه .

ذكر أصحاب التراجم لابن ظافر كتاباً واحداً في التاريخ دعاه باسم « أخبار الدول المنقطعة » ، ولاندري بالتأكيد مالذي قصده بعبارة المنقطعة فإذا كان ذلك انقطاع الذكر والسقوط ، فقد روى في كتابه أخبار الدولة العباسية وهي كانت ما تزال قائمة ، ونطرح هذا السؤال ونفتش عن جواب مقنع له فلا نجده لأن خطبة كتاب ابن ظافر لم تصلنا ، فالمعروف هو أنه يوجد في العالم نسختان خطيتان من الكتاب واحدة في لندن في المتحف البريطاني برقم OR ٣٦٨٥ والاخرى في غوطا في ألمانيا الشرقية برقم١٥٥٥ ، وهاتان النسختان غير كاملتين ، تحويان أخبار عدد من الدول مثل : الخلافة العباسية ، والدولة الفاطمية ، والدولة الساجية ، والدولة الحمدانية ، والدولة الطولونية ، ودولة صنهاجة بإفريقية ، ومن المرجح أن الكتاب حوى أكثر من ذلك .

لقد انتزعت أخبار الدولة الحمدانية من كتاب ابن ظافر لأهمية الموضوع وقيمة مافيه من مواد لانكاد نقف عليها في مصدر آخر من المصادر ، ومن ثم سعيت الى تحقيقها بشكل علمي بغية نشرها ، وكنت قد حصلت على مصورة لكل من نسخة لندن ونسخة غوطا ، ولدى العمل تبين لي أهمية نص الكتاب ، ووجدت أن نسخة غوطا كاملة وهي أفضل نسخاً وأكثر ضبطاً فقد سبق واستفاد منها مؤرخ مصر الاسلامية المقريزي كما أثبت ذلك بخطه عليها .

وأما نسخة المتحف البريطاني فهي أدنى من حيث الجودة من نسخة غوطا ثم هي ناقصة الأول، وعلى العموم هناك عدد لا بأس به من التصحيفات في النسختين، وقد جرى تدارك ذلك كله، وخط النسختين نسخي عادي، هذا ولم يذكر ابن ظافر مصادره التي اعتمدها وإن أشار مرة الى الثعالبي صاحب يتيمة الدهر.

لم يعمر ابن ظافر طويلاً فقد توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة[١٢٢٦م] وقد ترجم له المنذرى في التكملة لوفيات النقلة كما ترجم له ياقوت وابن شاكر في فوات الوفيات، والغريب المدهش هو أنني لم أعثر له ترجمة في كتب تراجم المالكية[١]

لقد بذلت جهدي في تحقيق هذا الكتاب وعدت الى عدد كبير من المصادر مثل تاريخ الطبري وذيوله، والكامل لأبن الأثير، وتاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي وتاريخ دمشق لأبن القلانسي، وزبدة الحلب لابن العديم، كما رجعت الى ماكتب حديثاً عن الدولة الحمدانية خاصة ماجمعه موريس كنار من أخبار سيف الدولة واطروحة فيصل السامر حول الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، كما استفدت من معجم البلدان لياقوت ومن عدد من معاجم اللغة خاصة النهاية لابن الأثير ولسان العرب لابن منظور.

أرجو أن أكون وفقت والله من وراء القصد له الحمد والشكر والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

١ ـ المنذري التكملة لوفيات النقلة ط . النجف الأشرف: ٤/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨، ٢/ ٢٧٧ . فوات الوفيات . ط . القاهرة: ١٢٩٩هـ: ٥١ ـ ٥٢ . معجم الأدباء لياقوت الحموي.



الورقة الأولى من مخطوطة المتحف البريطاني

اخبار الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بخير

الدولة الحمدانية

بالموصل وحلب وديار بكر والثغور هذه الدولة من
ارفع الدول بناءً واثبتها اوتادا وبيت اربابها من انبه
بيوت العرب ذكرا واعلاها قدرا وامجدها ارومة النسب
فتغلب واما شعبه فربيعه وجدهم الاقرب الذي ينسبون
اليه هو الامير مكابد المحل حمدان بن حمدون بن الحرث
ابن لقمن بن راشد بن رافع بن مسعود بن دلهم بن مسعود بن
عطيف بن سراقة بن محرمه بن حارثه بن ملك بن غنم بن بكر
ابن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وتغلب بن وايل بن قاسط بن
هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة الفرس
وربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وما احسن فصلا ذكره
صاحب اليتيمه في وصفهم فقال كان بنو حمدان ملوكا
وامرا اوجههم للصباحة واكفهم للسماحة وعقولهم
للرجاحة والسنتهم للفصاحة وانما سمي حمدان مكابد المحل لان
الموصل اجدبت حتى عدم القوت بها فمار الناس اجمع سنتين
الى ان اعشبوا وفيه يقول القايل

٥

بسم الله الرحمن الرحيم
رب يسر بخير

الدولة الحمدانية
بالموصل وحلب وديار بكر والثغور

هذه الدولة من أرفع الدول عماداً، وأثبتها أوتاداً وبيت أربابها من أنبه بيوت العرب ذكراً، وأعلاها قدراً، أما جرثومة[1] النسب فتغلب، وأما شعبه [2] فربيعة، جدهم الأقرب، الذي ينسبون اليه، هو الأمير مُكايد المحل حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن رافع بن مسعود بن دهم بن مسعود بن عطيف بن سراقة ابن مخرمة بن جاريه بن مالك بن غَنْم بن بكر بن حُبيب بن عمر بن غَنْمْ بن تغلب، وتغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دُعمى بن جُديلة بن أسد بن ربيعة الفرس، وربيعة بن نزار بن مَعَدْ بن عدنان ، وما أحسنَ فصلاً ذكره صاحب اليتيمية في وصفهم فقال: « كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء، أوجههم للصباحة، وأكفهم للسماحة، وعقولهم للرجاجة وألسنتهم للفصاحة»[3] وانما سمى حمدان مكايد المحل،

---

١ ـ الجرثومة الأصل. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

٢ ـ الشعب: الطائفة من كل شيء، وللشعب مرتبة خاصة عند علماء النسب. النهاية لابن الأثير.

٣ ـ انظر يتيمية الدهر للثعالبي ط. مطبعة السعادة القاهرة: ١ / ٢٧، مع شيء من التقديم والتأخير.

لأن الموصل أَجدبت حتى عدم القوت بها، فهار الناس أجمع سنتين الى أن أُغيثوا، وفيه يقول القائل:

مازلـت في قنط المـعيشـة جاهـداً   حتي أتـيت مكـايد المـحـل. (١)

وكان لحمدان أبناء كثيرون، منهم الأمير أبو الهيجاء عبد الله والمملكة في أولاده. (٢).

وقـد كان يتقلد جلائـل الاعـمال وتـولى المـوصـل الى سنـة احـدى وثلاثمائة، فثار عليـه أهلهـا ونسبـوه الى الخـروج على السلطان، ونهبوا داره فخرج عنها ونزل بحذائها، وكتب الى بني تغلب فجـاؤوه، ودخـل المـوصـل فأوقـع بهم وقتـل منهم رجلين ووجه اليه السلطان مؤنس المظفر في جيش ليلقاه فكتب اليه أبو الهيجاء يخبره أنه على الطاعة، فكتب اليـه مؤنس إن كنت كما تقـول فاخـرج إليّ، فخـرج اليـه فولى مؤنس نحـرير الصغير مكانه، ودخل به معه الى بغداد، وولي طريق مكة والحرمين وخفارة الحاج، وجـرى له مع الأعـراب كل غريب، وأسـره القرامطة ومنهم أمراء عدة مشهورون في الـدولـة العبـاسية كالحسين وكان قد ولي قم وأعمالها والموصل وغير ذلك، وكان سفاكا فتـاكـا شجـاعـا، كان عنـده نيفا وعشرون طوقا من خلع الخلفاء كل طوق منها لقتله خارجي، وخـالف على المقتـدر في سنة ثلاث وثلاثمائة وجمع نحو عشرة آلاف، فبعث

---

١ ـ لم يذكره المؤلف ولم أهتد الى صاحبه .

٢ ـ ورد في حاشية النسخة الأم:

وكـان معـه ابـو عبـد الله الحـارث سعيـد بن حمدان بن أحمـد وأمـا داود فيعـرف بالمـزربـان، فقتـل في المحـرم سنـة عشـرين وثـلاثـمائـة، والسبب أن مؤنس لما أقـام بالـرقـة مراغـماً للمقتـدر قبـل قتـل المقتدر، كتب الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان الوزير الملقب بعميد الدولة الى بني حمدان بأن يطـردوه فسـار اليـه داود ومعـه أخـوه أبـو سعيـد ونـاصـر الـدولـة بن ابي الهيجـاء في نحـو من خمسـة عشـر ألف فارس ودافعوه فهزمهم، وقتل داود في الوقعة، وقتل القاهر نصر في سنة احدى وعشرين لأنه تزوج جارية مغنية لابن بسطام، فطلبها منه، فأمر يحفر له بئراً وقتله ورماه فيها، وأما أبو العلاء فولاه الـراضي ديـار بكر والثغور الجزرية، في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وولي أيضا طريق خراسان، ودُهْمٌ بن حمدان قتله علي بعد أن أساء اليه في سنة ثلاث وعشرين

إليـه المقتـدر رائق الحجري في جيش وانهزم . (١)الحسين بعد ان اشرف رائق على الهلاك بالجوع ، ثم هرب الحسين نحو أبي الساج ، الى أذربيجان ، (٢)ومر على آرزن ، (٣)فخرج اليه واليها ليرده فهزم فبعث مؤنس اليه وكان نازلا بالقرب منها ثم أدركه وأدخله الى بغداد مشهوراً على جمل في زي شنيع ، وابنه كذلك ، وقبض على سائر أخوة أبي الهيجاء وأبي العلاء وأبي السرايا وأبي الوليد وحمدون سوى داود واعتقلوه في دار الخليفة .

وأقام الحسين في الحبس الى أن عزم الخليفة في سنة خمسين وثلاثمائة على اطلاقه ، وتوليته الجيش لمحاربته يوسف بن أبي الساج ، فلم يفعل وقال : الساعة لما احتجتم لي ، فأمر الخليفة قاهر الخادم أن يقتله ، فدخل اليه وقتله في الحبس ، وحمل رأسه الى الخليفة ، ورميت جثته في دجلة وأطلق سائر بني حمدان ، وولي أبو الهيجاء طريق مكة ، كما قدمناه ، وأما نصر أبو السرايا فهو الذي أخذ محمود بن صالح الدارمي من أهل البوازيج (٤)في سنة ثمان عشرة .

وكان الأمير أبو الهيجاء المقدم ذكره ، شجاعا فاتكا كريما محبوبا إلى الخلفاء والأجناد ، وكانت القرامطة إذا أوردت خيولها الماء فنفرت منه ، يقولون لها : كم تخافين من الماء أبو الهيجاء فيه ، لهيبته عندهم واشتهاره لديهم .

وقتل أبو الهيجاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، والسبب في ذلك أن الأجناد خلعوا المقتدر بالله في النصف من شهر المحرم المذكور ، وبايعوا أخاه العباس أبا منصور أحمد القاهر فأقام يومين ، ثم أعاد الأجناد المقتدر وزحفوا الى القصر وفيه القاهر يطلبون أخذه ، وكان للحين المقضي عنده أبو الهيجاء

---

١ ـ انظر الطبري ـ ط . دار المعارف : ١٠ / ١٤٧ ـ ١٥١ ، صله عريب : ١١ / ٥٥ . حيث المزيد من التفاصيل .

٢ ـ قال ياقوت في معجمه : « حد أذربيجان من بزرعه شرقاً الى أرزنجان مغرباً ، ويتصل حدها من الشمال ببلاد الديلم » ، وهي الآن من بلدان الاتحاد السوفييتي .

٣ ـ آرزن هي بلدة من بلاد أرمينية .

٤ ـ البوازيج : بلد قرب تكريت على فم الذاب الأسفل حيث يصب في الدجلة ـ معجم البلدان .

فلما أحاط الأجناد بالقصر بادر أبو الهيجاء الى الخروج فتعلق القاهر بأذياله واستجار به، فحملته الحمية على الثبوت معه، ودخل الأجناد من أبواب القصر، والقاهر وأبو الهيجاء يتخللون القاعات حتى انتهوا الى قاعة فحصرهم الأجناد فيها ودخلوا عليهم من بابها فجرد أبو الهيجاء سيفه وأوقف القاهر وراءه وجعل يقف حتى يكثر دخول الناس من الباب، ثم يحمل عليهم فيهزمهم الى آخر الدهليز ثم يعود الى مكانه، وهو يرغو كما يرغو البعير، ويزبد ويصيح أين فرسي فلان، أأموت كما تموت النساء بين جدران الدور، ثم يكر على الناس فينهزمون بين يديه إلى أن طلع بعض الأجناد سطوح القاعة، وركبوا جدرانها فلما حمل على الناس، رمي من أعلاهابالنشاب فأنكى فيه، ولم يزل كذلك الى أن مات رحمه الله

ولما استقر أمر الامام المقتدر وعفا عن أخيه القاهر بكى على أبي الهيجاء وتندم عليه وأمر به فكفن ودفن، وترك أبو الهيجاء من الأولاد أبا محمد الحسن، وأبا الحسن علي وأبا العطاف خير، وأبازهير، والمملكة لأبي محمد الحسن وأخيه علي وعقبهما، فلنبدأ بالحسن الأكبر وهو ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان.

لما قتل والده تقدم في خدمته للدولة العباسية، وتنقل في الولايات إلى أن تولى الموصل في أيام الراضي بالله وتغلب عليها(١) في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ولما ضعفت الدولة العباسية، فبعث ابن مقلة الوزير، وزير الراضي إليه، عمه أبو العلاء سعيد ابن حمدان وولاه الموصل وأمره بالقبض على ناصر الدولة، فسار لذلك، فلما قرب من الموصل خرج ناصر الدولة لتلقيه فخالفه سعيد ودخل البلد، ونزل داره، وقبض على خزائنه، وبلغ ناصر الدولة الخبر، فرجع عجلاً، ودخل الدار وقبض على عمه فيها، وأمر غلمانه فعصروا مذاكيره الى ان مات، وذلك في رجب سنة ثلاث وعشرين وبلغ ذلك أبا علي بن مقلة، فعز عليه، وتجهز في العساكر، وخرج من بغداد، وسار قاصداً الى الموصل في يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان من السنة.

وكان ثمرة خروجه أنه أنفق على الجيش ثلاثمائة ألف دينار، وحط من المال الذي كان ناصر الدولة يحمله في كل سنة سبعين ألف دينار، وأضاف اليه

---

١ - الخبر مفصلا في ذيول تاريخ الطبري: ١١ / ٢٦٠ - ٢٦٣

آمد[1] وميافارقين[2] وآرزن، وأسقط عنه المؤونة اللازمة له، في حفظ ثغور الجزيرة ملطية[3] وشميشاط[4] حتى أخربها العدو، وكان ناصر الدولة لدهائه ومكره لا يصافف[5] من يقصده، فلما قصده ابن مقلة رفع أمواله وخزائنه وحرمه الى قلعة الموصل، وجعل فيها من خواص غلمانه من يدفع، ثم خرج من الموصل في عسكره، وأخرج معه كل تاجر في البلد، ولم يبق بها علوفه ولاقوتاً إلا رفعه الى القلعة، فوصل اليها ابن مقلة فأقام بها في حال سيئة وبعث بالعساكر مع علي بن خلف بن طياب ليتبع ناصر الدولة فسار وراءه ودخل ناصر الدولة بلاد أرمينية[5]، فعاد ابن طياب ولم يتبعه، وطال المقام على ابن مقلة، وضاقت عليه الأحوال، لنفاذ الأقوات، وعدم العلوفات، فقلد الموصل لعلي بن خلف، وقلد جزيرة ابن عمر،[6] لماكرد الديلمي، وقلد عبد الله بن أبي العلاء المقتول نصيبين[7] وعاد الى بغداد، وانتهى الخبر الى ناصر الدولة، فخرج من أرمينيا، وقد أطاعه سائر ملوكها، وجبى خراجها، وقصد الجزيرة. وبها ماكرد وكاتب ماكرد من مع ناصر الدولة من الأمراء ووعدهم عن ابن مقلة الإحسان، فلما نزل عليها استأمنوا إلى ماكرد فانفصل ناصر الدولة عنها كالمنهزم ونزل بعلتابا[8]، وراسل علي بن باجعفر الديلمي، وهو مع علي بن خلف بالموصل في أن يفتك به ووعده بالإحسان إليه على ذلك، فلم يتهيأ له بل استفسد جميع من مع علي ابن خلف لناصر الدولة وكتب إليه يقول: إذا نزلت على الموصل إستأمنا إليك بأجمعنا، فسار ونزل عليها فاستأمنوا بأجمعهم، وخرج ابن طيّاب هارباً في ليلة الأربعاء

---

١ ـ آمد: بلد حصين على نشز دجلة. معجم البلدان.

٢ ـ ميافارقين أشهر مدينة بديار بكر. معجم البلدان.

٣ ـ ملطيةهي بلدة من بلدان الثغور الجزرية. معجم البلدان.

٤ ـ شميشاط مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شق منها، واسمها الآن شوشط في تركية ـ معجم البلدان

٥ ـ تألفت أرمينية من قسمين عليا وسفلى ـ معجم البلدان.

٦ ـ جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل يحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة ـ معجم البلدان.

٧ ـ نصيبين مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ـ معجم البلدان.

٨ ـ بعلتابا لم أجدها عند ياقوت.

لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعـدة سنة ثلاث وعشرين، ودخل ناصر الدولة الموصل وبعث جيوشه مع علي بن باجعفرالى الجزيرة لاخراج ماكرد عنها، فلما قرب منهـا خرج ماكـرد وسـار الى نصيبين واستنجد بأبي ثابت العلاء بن المعمر الحُبيبي صاحب السمعية، (١)فجمع له العرب ونصره، وكتب علي بن باجعفر الى ناصر الدولة بالخبر، فأنجده بأخيه سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان، وأمر علي بن باجعفر بطاعته ثم سار تابعا لأخيه بنفسه فقاتل ماكرد وأبا ثابت فقتل أبو ثابت وهرب ماكرد خائفا الى الرقة، الى مدينة السلام، (٢)وهربت بنو حُبيب بعد أبي ثابت الى بلاد الروم وتنصروا الى اليوم، وخربت السمعية، واستقامت مملكته للموصل والجزيرةوديار ربيعة ومضر (٣)

وفي سنة سبع وعشرين، خرج الراضي ومعه بجكم طالباً للموصل، وأخرج ناصر الـدولـة جيشـه مع ابن عمـه الحارث بن سعيد فلما صف الجيش في مقابلة الخليفة، وقع في العسكر أن الجبنش استأمن، فانهزموا الى ناصر الدولة، فدخل ناصر الدولة الموصل ليلة الجمعة ليلتين بقيتا من المحرم، وصلى الجمعة ثم خرج من الموصل ودخل بجكم يوم السبت، وسار الجبنش الى بلد، (٤)وتبعه بجكم فدخل في سحر يوم الأحد وسار الجبنش الى الخالدية (٥)ثم رحل منها يريد برقعيد، (٦)وبقي فيها جماعة من أهله، ووافى بجكم، فأوقع بهم، وخرج أبو وائل، وتمادى الأمر، ثم وقع الصلح على مال بذله الجبنش ودخل الموصل لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر،

ولما ملك أبو الحسن بن البريدى بغداد وهرب المتقي لله عليه السلام منها ومعه

---

١ ـ السمعية قرية كبيرة في نواحي الموصل ـ معجم البلدان.

٢ ـ مدينة السلام في بغداد، وهو الأسم الذى أطلقه المنصور عليها لدى فراغه من بنائها.

٣ ـ الخبر في ذيول الطبري: ١١ / ٢٩٤ ـ ٢٥٧، وعزا ابن حوقل هجرة بنو حبيب وهم من تغلب الى سياسة سيف الدولة المالية. انظر صورة الأرض ـ ط. بيروت. ص ١٥٣.

٤ ـ بلد مدينة على دجلة فوق الموصل. معجم البلدان.

٥ ـ الخالدين قرية من أعمال الموصل ـ معجم البلدان.

٦ ـ برقعيد بليدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين، ومن برقعيد كان بنو حمدان التغلبيون سيف الدولة وأهله.

أمير الأمراء أبو بكر بن رائق الى الموصل، واستنجد بناصر الدولة، تجهز لإنجاده ثم رأى أنه لايتم له أمر مع بقاء ابن رائق، ففتك به في رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة، فرد المتقي تدبير الملك إليه وسار الى بغدادومعه ناصر الدولة وأخوه سيف الدولة، فانهزم البريديون من بين يديه، وتولى ناصر الدولة إمرة الأمراء ونعته الامام المتقي بالله بهذا النعت، (١) ونعت أخاه بسيف الدولة، وخلع عليهما وذلك في شوال سنة ثلاثين وثلاثمائة وزوَّج المتقي ولده أبا منصور بابنة ناصر الدولة وكان الصداق خمس مائةدرهم، والنحلة (٢)مائة ألف دينار وضرب ناصر الدولة السكة عياراً. لم يضرب قبله إلا السندى، (٣)وزاد على نقش السكة بعد محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أول من فعل ذلك، وأقام ببغداد ثلاثة عشر شهراً، ثم اجتمعت الأتراك وقدموا توزون، وهم بواسط (٤) وسيف الدولة في عسكره معهم فناصبهم، وبلغ ناصر الدولة الخبر فسار الى الموصل صحبته الإمام المتقي وأمر أخاه سيف الدولة بمناصبة توزون، فناصبه وكبسه توزون ليلاً، فانهزم وتبعه عسكره إلى الموصل، وكان ناصر الدولة عند مسيره الى الموصل صحبة المتقي لله بعث بعلي بن خلف بن طيّاب إلى نحو الشام في عسكرٍ وفي جملته عَدِلْ ـ حاجب بجكم الماكاني ـ وكان قد تغلب على الرحبة (٥)وأعمال طريق الفرات رجل يقال له: مسافر بن الحسن، وكان عاملالابن رائق عليها، فلما قُتل أظهر تغلبه فبعث علي بن خلف وعدل في عسكر إليه، فلما قرب منه هرب مسافر ودخل عدل الرحبة وأقام بها واجتمع إليه عدة من الأتراك والديلم الذين كانوا في صحبة بجكم، فقوى بهم وأقطعهم، وتغلب على البلاد وكثر جيشه،

---

١ ـ أي أعطاه لقب ناصر الدولة.

٢ ـ النحلة العطية، وقد يكون مهر المرأة ـ لسان العرب.

٣ ـ من المرجح أنه يريد به السندي بن شاهك، مولى المنصور. انظر تاريخ الطبري. ط. دار المعارف: ٧ / ٥١٩ ـ ٥٢٣.

٤ ـ واسط تقع بين البصرة والكوفة، بناها الحجاج بن يوسف الثقفي واتخذها مقراً لولاية العراقين. معجم البلدان.

٥ ـ الرحبة بلدة ماتزال بقاياها قائمة قرب بلدة الميادين السورية على الفرات.

وكان يزيد بن الفضل قد تغلب على عانه (١) وبلاداً غيرها، فبعث ناصر الدولة من بغداد بدر الخرشني والياً على هذه البلاد في عسكر، فهرب ابن الفضل والتحق بأبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وهو بنصيبين نائباً عن ناصر الدولة فأمنه وأطعمه ابن الفضل في عدل وطمع في البلاد فاغتنم بُعدْ ناصر الدولة.

فسار الى نصيبين، فخرج إليه الحسين وحين صافقه استأمن رجال عدل إليه، وأسره الحسين وأسر ابنه وحملهما إلى ناصر الدولة، فتسلمهما، وراسل توزون المتقي في الصلح فأجاب ورجع فخلعه وسمله، وأقام ناصر الدولة بالموصل ولم يتعرض لبغداد الى أن ملكها الديلم فتحرك اليها في جمادى الآخر سنة أربع وثلاثين، وحاصر معز الدولة بن بويه الديلمي، حتى كاد يأخذه ثم رجع عنها في صورة منهزم، وكان في عسكره جماعة من الديلم ففوض أمرهم إلى جُمان أحد أصحاب توزون فقلّتْ ثقته بهم وخاف أن يستأمنوا إلى معز الدولة، فأمر جمان بالمسير بهم إلى الرحبة لولايتها، فلما حصل بها جمع جموعاً كثيرة، وكاشف بالعصيان، وسار إلى الرحبة فحاصرها سبعة عشر يوماً، ثم انهزم عنها، وبلغ أهل الرحبة خبر انهزامه فقتلوا كتابه وبعض حاشيته، فعاد جمان إليها ووضع السيف في أهلها فسار إليه ماروخ صاحب ناصر الدولة في المحرم من سنة ست وثلاثين وواقعه على طي الفرات فهزم جيشه، وحقق عليه ماروخ الحملة فهرب ووقع في الفرات فغرق، وتسلم ماروخ أعماله ثم انعقد بينهما صلح على يد أبي بكر بن عرابه على مال يحمله ناصر الدولة كل سنة وجرى بعد ذلك بينهما الحروب على هذا المآل مايطول شرحه.

وذلك أن ناصر الدولة كان يمتنع من حمل المال، فحمل ذلك معز الدولة على التجهز لقتاله، والمسير إليه لاستئصاله، فلا يرى أن يحاربه بل يرفع أمواله وحرمه الى القلعة ولايبقي في البلد قوتا ولاعلوفة البتة ويبقى في خيله جريده (٢) فإذا قرب معز الدولة من الموصل خرج ناصر الدولة منها وسار الى نصيبين أو إلى آمد أو إلى بلد من

ـ عانه بلدة مشهورة بين الرقة وهيت. معجم البلدان.

٢ ـ جريده: جماعة من الفرسان لسان العرب.

بلاده، فيأتي معز الدولة ، وينزل قصره بالموصل ، فتقل مادته وتنفذ أزواده فيبعث بغال ثقله وسراياه ، لتحصيل المعلوفات والأقوات من القرى والضياع ، فيفرق عند ذلك ناصر الدولة أشباله وهم ثمانية ملوك شجعان كل منهم تزيد مماليكه وغلمانه على الخمسمائة رجل ، للتصعلك على عسكر معز الدولة وسراياه فيقربون من الموصل وهم متفرقون فلا يجدون سرية إلا كسروها ولا قافلة إلا نهبوها وسلبوها ، فيغضب ذلك معز الدولة ويحمله على الخروج من الموصل في طلبهم ، فينكشفون بين يديه ، وينتهي الخبر الى ناصر الدولة والدهم فيخلفه الى الموصل فان وجد به مالاً له رفعه إلى القلعة وإن وجد به أحداً من قواده سجنه بها ، وخرج إليه معز الدولة في رجب سنة ثلاث وخمسين ومَلَكَ الموصل ، وسار تابعاً له الى نصيبين فخرج منها ناصر الدولة ، وبعث أولاده الى الموصل لقتال من فيها فرجع معز الدولة فانكشفوا بين يديه فسار الى بلد ، واجتمع ناصر الدولة بأولاده وسار الى الموصل فأمكنتهم الفرصة فيمن تركه معز الدولة بها فدخلوا البلد وأسروا نيفا وسبعين قائداً فأمر بهم ناصر الدولة فثُقفوا [1] بالحديد ورُفعوا الى القلعة ومعهم نحو ستمائة جندي ووجد له مائة وثلاثون بدره دراهماً فأخذها ثم خرج من الموصل ومضى الى حلب، وأقام عند أخيه سيف الدولة ولم يزل الأمر على ماشرحته ، إلى أن تم الصلح ، بين معز الدولة وأبي تغلب بن ناصر الدولة على إطلاق الأسرى ورد ثمانين بدره ، فقبل ذلك ناصر الدولة ورجع معز الدولة إلى بغداد ، وقد ظهرت خسارته ولم ينفعه جده وتعبه ودخل ناصر الدولة الموصل فأطلق الأسرى وبعث المال وكذلك كانت الأمور تجري متى قصد معز الدولة الموصل أو ابنه عز الدولة ، ولم يزل ناصر الدولة مالكاً للموصل إلى أن قبض عليه ولده . عدة الدولة أبو تغلب فضل الله وهو نائم بعد أن شاخ وكبر ، وحمله على فراشه إلى قلعة الموصل واعتقله بها ، والسبب في ذلك أن والده طالبه بميراث والدته فاطمة ابنة أحمد بن علي الكردي وتوعده بالقتل ولما اعتقله وَكَلَ بخدمته كردياً كان ناصر الدولة يشنأه[3]

---

١ ـ ثقفوا : أخذوا ـ لسان العرب .

٢ ـ البدره : كيس من ألف أو عشرة آلاف درهم لسان العرب .

٣ ـ يشنأه : الشناءه مثل الشناعة : البغض لسان العرب .

ويبغضـه، وخـادماً كان كذلك، وأوصاهما أن لايكلماه ولايخبراه ولايزيداه عن إحضار مايأكله ومايشربه، فكان يكلمهما ويقول ناشدتكما الله ألا أخبرتماني كيف حال الدنيا وكيف أولادي هل هم أحياء هل مملكتهم لهم وهل ولد أخي حي أم توفي، فلا يجيباه وأقام كذلك، إلى أن مات.

ومن مليح سيرة ناصر الدولة أنه كان يمنع مماليكه من الزواج والإشتغال بشراء الدور وغيرها ويقول إذا اشتغلتم عما أريده بطل ماأريده، وكان رزق جيشه عند مجيء الأتـراك إليه، لما دخـل معـز الـدولة بغداد ستمائة ألف دينار في كل شهر والأتراك الواصلين إليه خارجاً عن هؤلاء ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف دينار كل شهرين، وكان القبض عليه عند النصف من ليلة الثلاثاء لست بقين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين

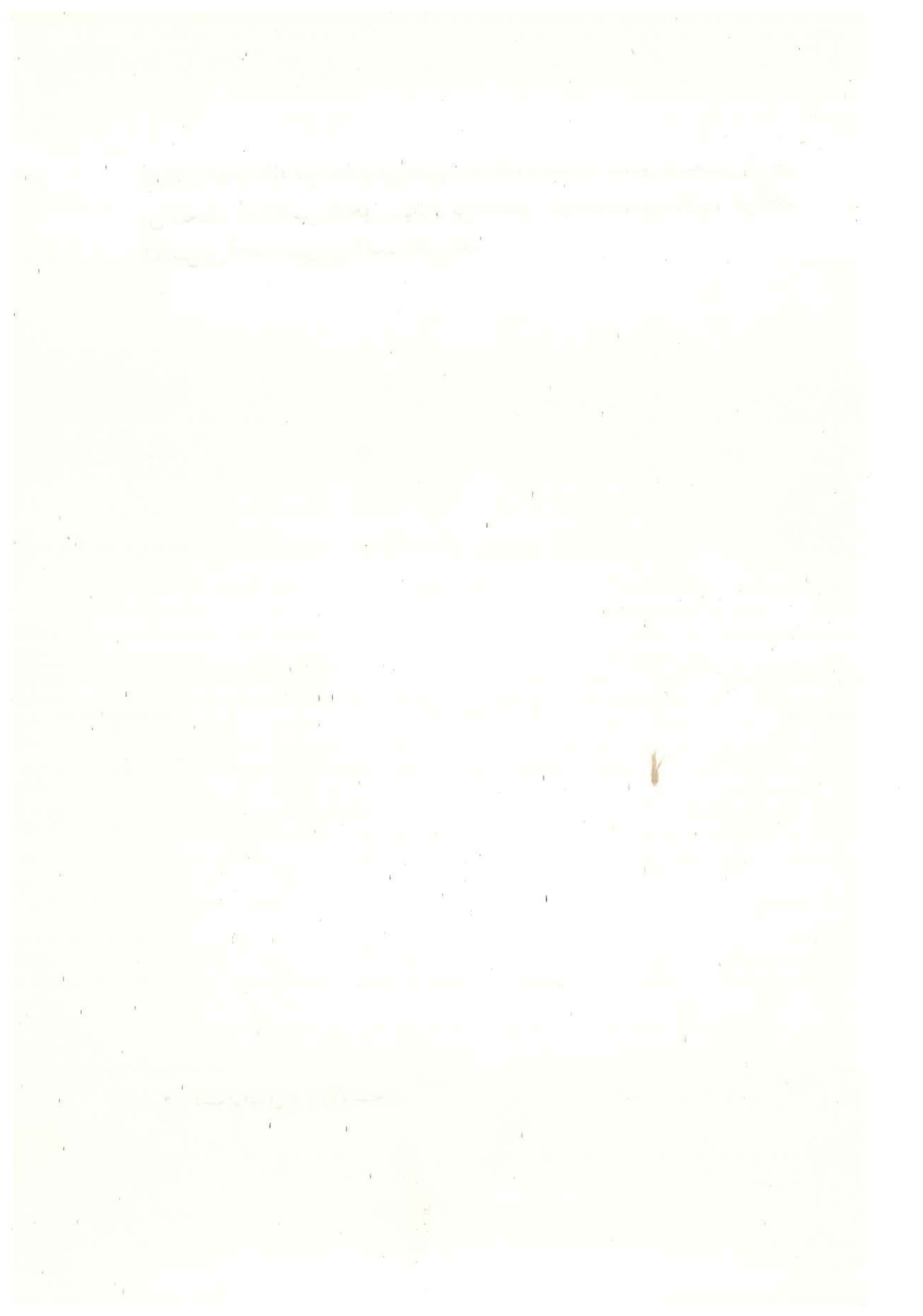
وتوفي وقت العصر يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ولما مات سار أبو البركات فحمله الى الموصل ووصل التابوت في السابع عشر شهـر ربيع الأول سنـة ثمان وخمسـين، وتلقاه أبو تغلب والأخوة مشاة وهم يبكون وينتحبون وصلى عليه ابن حمصه العلوي، وتوفي أخوه سيف الدولة قبل القبض عليه بمدة يسيرة، كما سيأتي وكانت مدة تغلبه نحو ثلاث وثلاثين سنة سوى ولايته الموصل قبل ذلك

أولاده الأمير عدة الدولة الغضنفر أبو تغلب فضل الله، أبو المظفر حمدان[1] أبو الفـوارس محمد، [2] أبو القاسم هبة الله، أبو طاهر ابراهيم [3] أبو المرجاجابر[4] أبو

١ ـ كتب فوقها في غ : كان يوليه نصيبين.
٢ ـ كتب فوقها في غ : ولاه الموصل.
٣ ـ كتب فوقها في غ : كان يوليه الجزيره.
٤ ـ كتب فوقها في غ : ولأه عذابان.

البركات لطف الله أبو المطاع ذو القرنين[٥] كتابه دنحا بن اسحق والده أبو الحسين بن دنحا، أبو الحسن الباهلي سهلون بن هاشم، أبو القاسم بن مكرم، أبو أحمد الفضل بن أحمد الشيرازي كاتب المطيع لله.

٥ ـ كتب فوقها في غ : ولاه سنجار.



الأمير سيف الدولة

أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان هو أصغر من أخيه ناصر الدولة وكان في أول أمره مسعوداً بسعادته متصرفاً على إرادته الى أن دخلت سنة خمس وعشرين فمن تلك السنة انفرد بديار بكر، والسبب في ذلك أن علي بن باجعفر الديلمي لما استأمن إلى ناصر الدولة كما ذكرناه، ونافق على علي بن خلف بن طياب سأله أن يوليه الجزيرة عند اخراج ماكرد منها، فقال إن الجزيرة معدن أملاكنا ومحط ضياعنا ومسقط رؤوس أهلنا ولاحاجة لك بها، ولكن هذه ديار بكر فيها أحمد بن نصر القشوري في عدة قليلة فخذ جيشا وامض اليها وأخرجه عنها، فإني أقلدك إياها، وبعث معه جيشاً فانصرف ابن نصر ودخلها علي بن باجعفر وسكن آرزن وأقام الدعوة لناصر الدولة، وهو مع ذلك يحصن البلد ويستكثر الرجال والأجناد، فنمى الخبر إلى ناصر الدولة فلم يأمن شره وكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فأبى وأظهر العصيان، فندب ناصر الدولة عند ذلك أخاه سيف الدولة إلى حربه، وقال له متى فتحتها يعني ديار بكر، وقبضت على هذا الديلمي مَلَّكْتك بلادها وقلاعها من غير أن تحمل عنها لخليفة ولالغيره، فسار سيف الدولة إليها في ألف فارس فتحصن منه علي بن باجعفر في قلعة آرزن وهي المعروفة بحصن العيون فنزل تحتها على النهر المعروف بشريط، وبنى في معسكره بناء كثيرا، وسارت إليه العساكر والحشود وصدق القتال فأخرج الديلمي أكثر من معه في الحصن لنقل المؤونة عنه، وبعث بحاجبه بدر الجستاني إلى ابن ترنيق ملك أرمينيا وسائر بطارقتها يستنجد بهم على سيف الدولة، ويخبرهم أنه متى حصلت البلاد له لم يطيقوا مجاورته، واستأمن رجل من الحصن إلى سيف الدولة فأخبره بخبر الحاجب،

فرصده عند عوده فقبض عليه وأحضر بين يديه، فأمر به فشهّر في العسكر، وبلغ ابن باجعفر الخبر فانكسر قلبه، وفسدت نيات أكثر أصحابه عليه، فراسل سيف الدولة يسأله أن يؤمنه على أن يمضي الى مدينة السلام، أو يبقى في خدمته، فأجابه وحلف له فنزل وسلم إليه القلعة، فوفى له، وأقام في خدمته الى أن استأمن له ابن رائق، وملك سيف الدولة بعد ذلك جميع بلاد أرمينية وماجاور بلاد بكر[1] من الران، ثم ملك حلباً وانتزعها من يد الأخشيد، ثم قلده بعد ذلك الثغور الجزيرية، وهي: طرسوس [2] وعين ذربة [3] والمصيصة [4] وما جاورهم من الثغور من غير أداء مال عن شيء مما بيده من الأعمال، لأنه رحمه الله كفى المسلمين أمر الروم، واعتنق حربهم، فاقتنع منه بذلك، وكان له مع الروم نحوا من أربعين وقعة وقعت له وعليه، وكان بعيد الهمة صادق العزمة شجاعا يلقى الأمور بنفسه، وكان شاعره أبو الطيب المتنبي بمدحه في كل غزاة ويذكر وقائعه، ويقال أن الدمستق كان يقول: بلينا بشاعر كذاب، وأمير خفيف الركاب، وكان لسيف الدولة خمسمائة غلام أقران لهم بأس وشدة إذا حمل بهم في أي جيش كان خَرَقَهُ، وكانت سِنَهُ خمس وعشرة عند ولايته لأخيه ناصر الدولة ديار بكر في أيام المقتدر، فنهض مع أخيه وظهرت شجاعته وشهامته، وكان أديباً فاضلاً وله مقاطع أشعار حسنة في أغراض لائقة بمثله، منها ماأنشده له الثعالبي في وصف قوس قزح وهو أحسن ماسمع فيه

وساق صبيح للصبوح دعوته ... فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً ... على الجود كنا والحواشي على الأرض

---

١ ـ بلاد بكر: هي بلاد كبيرة تنسب إلى بكر بن وائل وحدها ماغرب من دجله إلى نصيبين. معجم البلدان.

٢ ـ طرسوس مدينة بثغورالشام بين أنطاكية وحلب، هي في تركية الآن. معجم البلدان.

٣ ـ عين ذربه: بلد بالثغر من نواحي المصيصه ـ معجم البلدان.

٤ ـ المصيصه: هي مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. معجم البلدان.

وطـرزهـا قوس الغـمام بأصفر على　　أحمـر في أخضر فوق مبـيض
كأذيال خود[1] أقـبـلت في غلائـل　　مصـبغـة والـبعض أقصر من بعض

وقال أيضا:

أقبله على جزع كشرب الطائر الفزع　　رأى ماء فأطمعه وخاف عواقب الطمع
فصادف فرصة دنا ولم يلتذ بالجزع

ويحكى أنه كان لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم لايرى الدنيا إلّا بها ويشفق من الريح الهابة عليها، فحسدها سائر حظاياه على قرب محلها منه وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره، وبلغ سيف الدولة ذلك فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها وقال:

راقـبـتني الـعيون فيك فاشفـقتُ　　ولم أخـلُ قط من اشـفـاقِ
ورأيت الـعـدو يحسـدني فيك　　مجداً يا أنـفس الأعـلاق
فتـمـنـيتُ أن تكـوني بعـيداً　　والـذي بينـنـا من الـود باق
ربَّ هجـر يكـون من خوف هجـرِ　　وفـراق يكـون خوف الـفـراق

وأنشد ابن خالويه[2] لسيف الدولة:

تجنى عليَّ الـذنـب والـذنب ذنبـه　　وعـاتبني ظلمًا وفي نفسـه الـعتب
وأعـرض لما صار قلبـي بكـفـهِ　　فهـلا جفـاني حين كان لي الـقلبُ
إذا يرم المـولى بخـدمـة عبـده　　تجنـى له ذنـبـاً وإن لم يكـن ذنـب

ـ قال بعض المؤرخين: ومن عجيب النقد على الشعراء نقد سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان ملك العواصم والديارين وهو أحد ملوك الاسلام جلالة ونبلا وشرفا وشجاعة وكرما وحلما وحزما وعزما على أبي الطيب لما أنشده قصيدته التي أولها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وفرغ منها، قال يا أبا الطيب قد انتقدنا عليك قولك فيها:

---

١ ـ خود: الفتاة الحسنة الخلق الشابه وقيل الجارية الناعمة ـ لسان العرب.

٢ ـ ابن خالويه: (الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله لغوي من كبار النحاة أصله من همذان استوطن حلب توفي (٣٧٠ هـ/ ٩٨٠م) أعلام الزركلي.

وقـفـتَ ومـافي المـوت شك لواقـف كأنـك في جفـن الـردى وهـو نائم
تمر بك الأبـطال كلمـى هزيمـةً ووجـهـكَ وضـاح وثـغـرك باسـمُ

كما انتُقِدَ على امرىء القيس قوله:

كأني لم أركـب جواداً للذة ولم أتـبـطن كاعبـاً ذات خلخـال
ولم أ سبأ[1] الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعـد إجـفـالي

فما كان ينبغي لامرىء القيس أن يركب القسم الأخير من بيته الأول وتركيب القسم الآخر من بيته الأول على القسم الأول من بيته الثاني فيقول:

كأني لم أركـب جواداً ولم أقـل لخيلي كري كرة بعـد إجـفـالي
ولم أسـبـأ الـزق الـروي للذة ولم أتـبـطن كاعبـاً ذات خلخـال

فيقرن لذة الشرب بلذة النكاح وركوبه الجفال بأمره خيله بالكر فذلك كان ينبغي أن تركب هذين البيتين فتقول:

وقـفـت ومـا في المـوت شك لواقف ووجـهـك وضـاح وثـغـرك باسـم
تمر بك الأبـطال كلمـى هزيمـة كأنـك في جفـن الـردى وهـو نائم

حتى يتألف المدح بتيقن الموت، مع توضح الوجه وتبسم الثغر ويتألف البيت الثاني حين تذكرت إنهزام الأبطال وكلمهم مع السلامة، فتقول حينئذ:

كأنك في جفن الردى.فقال أبو الطيب:

أعز الله سيدنا إن كان الذي انتقد على امرىء القيس أعلم منه فقد لزمه تغيير بيته ولزمني ومولانا يعلم أن القزاز يعرف الثوب أكثر من معرفة البزاز لأن القزاز يعرفه جملة وتفصيلا، وكذلك الشاعر يعرف الشعر إكثر من معرفة الراوي، فأما امرؤ القيس فإنه أراد أن يذكر أنه يلتذ[2] بركوب الخيل فقرن بين لذته بركوبها، وبين لذته بتبطين الكواعب، إذ كان مركبي الحرب والسلم، وأراد في البيت الثاني، أن يجمع بين سروره بطرب الشرب، وبين سروره بطرد العدو، فقرن. وكذلك عبدك لما ذكر الوقوف مع

---

١ ـ أسبأ: سبأ الخمر أي اشتراها ليشربها ـ لسان العرب.

٢ ـ نهاية السقط من نسخة لندن.

تيقن الموت ذكر الحلول في جفن الردى وهو نائم فجمع بين إطافة الردى وبين غفلته عنك، ثم لما ذكرت في البيت الثاني، مرور الأبطال كلمى هزيمة، وكان من عادة كل من ضاق عطنه [1] وقلّت شجاعته، إذا رأى أصحابه منهزمين كلمى أن يعبس لخوفه من الهلاك فقلت :

ووجهك وضاح وثغرك باسم

فاستحسن سيف الدولة كلامه وأمر له بخمس مئة دينار [2]

ومن جملة غزوات سيف الدولة غزاة سنة ست وعشرين خرج في ذي القعدة منها، حتى صار إلى حصن دارم ووجّه الحسن بن علي القواس في سرية الى حصن التل [3] وسار سيف الدولة الى حصن زياد [4]فشارف فتحه وأقام عليه تسعة أيام ووافاه الدمستق في مئتي ألف فانكفأ راجعاً يطلب شمشاط وخيول الروم تسايره فنزل ضيعة تعرف بالمقدمية [5]وهم مناجزة الروم ثم تطيَّر باسمها فسار فلما كان يوم النحر وصل الى موضع بين حصني سلام وزياد فتفاءل بأسمائها.

ووقف وأقبلت عساكر الروم، وانقطع منها موكب قد أجازوه في نحو عشرين ألف فارس ووقع القتال وحمل سيف الدولة في غلمانه وغلامه يمال، وعبد الأعلى بن مسلم فهزم الله الروم، وأسر سبعين بطريقا ولم يزل القتال والأسر فيهم إلى الليل وأخذ سرير الدمستق وكرسيه.

وفي سنة ثمان وعشرين، خرج سيف الدولة من نصيبين غازيا فنزل منازل دربند مدينة تاليقا [6]وكان الروم قد بنوا حزاها مدينة سموها: هفجيج [7] فلما علم

---

١ ـ ضاق عطنه : عكس رحب الذراع كثير المال واسع الرحل اللسان

٢ ـ انظر تفاصيل ماسبق في يتيمة الدهر . ط القاهرة ١٩٥٦ : ١ / ٢٧ ـ ٤٣ .

٣ ـ حصن دارم وحصن التل ليسا في معجم البلدان .

٤ ـ حصن زياد بأرض أرمينية بين آمد وملطيه . معجم البلدان .

٥ ـ لم أجدها في معجم البلدان

٦ ـ دربند هي باب الأبواب، وتاليقا أو تاليقلا، بأرمينية العظمى من نواحي خلاط. معجم البلدان

٧ ـ لم أجدها في معجم البلدان

الروم بمسيره أحرقوا المدنية التي بنوهاوهربوا ففي ذلك يقول النامي :

ونـادى الهـدى مستصرخـا فأجبتـه	بقـالـيقـلا إذ أتـت بالخيل سهـما
ولم تبـدى هفـجيج أيدى بنـاتهـا	أبـدتهـم تحت السـنـابـك رُغـمًا
لئن حسنت عذراء والبحـر خدرهـا	لقـد وجـدت فيه ثكـولا وأيما

ولما هدم الـروم هذه المدينة وهربوا، ورجع سيف الدولة فأقام بآرزن حتى انحسر الثلج وأمكن الغزو ثم خرج إلى خلاط [1]، ودخل بلد الروم بعد أن جاءه ملك أرمينية وحرذان([2])وما وطىء بساط ملك قط فأحسن إليه وخلع عليه وتسلم منه حصونا كانت ضرراً على المسلمين ورده إلى بلده سالماً بعد أن استحلفه على الطاعة وحماية السبل، ووردت عليه كتب ملوك أرمينية وحرذان. بالطاعة والانقياد، ثم سار إلى بلد، وأناخ على مدنية موش [3]فخربها وهدم بيعة جليلة القدر عند النصرانية ودخل الى بلاد الروم فهدم لهم حصونا كثيرة، وفتح قلاعا منيعة ووطىء مواطىء لم يطأها أحد من المسلمين قبله، وورد إليه كتاب ملك الروم بها أحفظه فأجابه عنه جوابا شديداوأنفذه إليه، ـ فقال الملك لرسول سيف الدولة: يكاتبني بهذه المكاتبة كأنه نزل على قلونية[4]استعظاما لذلك فاتصل قوله بسيف الدولة، فعزم على قصد قلونية أو يفتحها الله على يديه فكأنه رأى من بعض أصحابه استعظاما للأمر: فقال لست أقلع عن قصد هذه المدينة فإما الظفر وإما الشهادة.

فســار حتى نزل عليهـا، وأحـرق رسـاتيقهـا وسلب ضياعهـا، وكتب إلى الدمستق، وهو الملك كتابا من قلونية فاستعظم الروم هذا الفعل وخافوه خوفاً عظيما لأنـه بلد ماوطئه أحد من المسلمين، ثم رجع سيف الدولة منها فسايره الدمستق،

---

١ ـ هي قصبة أرمينية الوسطى ما تزال تحمل هذا الأسم في تركية ـ معجم البدان

٢ ـ لم أجدها في معجم البلدان.

٣ ـ موش: بلدة من ناحية خلاط بأرمينية. معجم البلدان.

٤ ـ قلونية: بلد بالروم. معجم البلدان.

فأوقع به سيف الدولة وقتل من الروم مقتله لايحصيها إلا الله تعالى .

وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة سار البريديون من واسط إلى بغداد وبها المتقي لله وابن رائق فكتب المتقي كتابا وأنفذ رسولا إلى ناصر الدولة يعرفه ماأظله من البريديون ويسأله الانحدار لنصرته ، فكتب ناصر الدولة إلى سيف الدولة وهو بنصيبين يحثه على المسير فإلى أن - وافى بغداد وافى ابن البريدي وقد نشبت الحرب بينه وبين ابن رائق ، وانهزم ابن رائق ، وتحصن في دار الخليفة ، ثم أخرج منها ومعه الخليفة وابنه على أقبح صورة على دابتين بغير غلام ، وخرج عامة الكتاب والقواد على أقبح من هذه الصورة وملك البريدي بغداد فتحكم فيها بما أراد من القتل والسلب واستخراج الأموال والتشفي من الأعداء ، واحتوى على دار الخلافة وجميع مافيها وسار الخليفة وجماعة من أرباب الدولة الى تكريت [1]عراة بأسوأ حال وأكثرهم رجّاله ، فلما صار سيف الدولة ببعض الطريق ، واتصل به ماحل بالسلطان أغذ السير وخرج ابن رائق إليه فتلقاه وسار معه حتى وصل إلى الخليفة ، فشكا إليه ماناله واستخبره عن ناصر الدولة فعرفه أنه بالأثر ، ولما خرج سيف الدولة من عند الخليفة حمل إليه من أصناف الأموال والثياب والدواب والطيب مايجل خطره ويعظم أمره ، وكذلك إلى سائر القواد والجند والكتاب حتى استقلوا وحسنت أحوالهم ، وحمل إليهم من الدقيق والشعير والتبن وجميع آلات الدواب والسلاح ماكفاهم وفضل عنهم ، واجتمعت الألسن على شكره .

وأمر الخليفة له ولناصر الدولة[2] مع التكنية والتلقيب أن تكتب أسماؤها على الدنانير والدراهم ، وهذه فضيلة لم يسبقهما أحد إليها ، ثم سارا مع الخليفة متوجهين إلى بغداد ، فلما سمع البريدي ذلك انحدر عن بغداد .

ثم كانت له مع سيف الدولة وقعة هزمه سيف الدولة فيها ، واستبشر الناس بما وهب الله تعالى لهم على يديه من الراحة من فتنة البريدى ، وأمنوا على أنفسهم وحرمهم وأموالهم وأكثروا الدعاء له في المساجد والطرقات ، وكتب المتقي لله رقعه الى الأمير سيف الدولة عند خروجه الى حرب البريدى نسختها :

---

١ - تكريت : بلده مشهور بين بغداد والموصل . معجم البلدان .

٢ - زاد في نسخة غ [نسخة الاصل] ولمعز الدولة وهي عبارة لامكان لها .

بسم الله الرحمن الرحيم .

عرفت لاأخلاني الله منك ماتقرر عليه العزم في رواحك، قرنه الله بالخيرة التامة، والمعونة الشاملة، والكفاية الجامعة، ووصله بالنصر والفلح والظفر، والفتح، فتعجلت الاستيحاش لبعدك، والتحسر لما يفوت من قربك لاخلوت منك، وكنت أحب أن ألقاك وأسر برؤيتك قبل نفوذك ولما تعذر ذلك دعوت الله لك بجميل الصحابة ولي عليك بحسن الخلافة، وأن يسعدنا جميعا بذلك سعادةمحمودة البدء والعاقبة إنه سميع الدعاء لطيف لما يشاء، ولايزال قلبي متطلعا لمعرفة خبرك الى أن يرد علي من مستقرك بما تريه وتمضيه وتدبره وتمشيه فتعمل لاأخلاني الله منك على ملاحظة من ذلك في كل وقت وساعة بما تعلم حسن موقعه مني، والسلام .

وكتب إليه رقاعا عدة أمثالها .

وفي سنة ثلاث وثلاثين ملك سيف الدولة حلباً وانتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الاخشيد، واتفق ان خرج العدو الى تلك النواحي فسار إليهم وأوقع بهم وقعة عظيمة واعتصموا منه بجبل، فصعد إليهم فكان من ألقى نفسه من الجبل فمات أعظم، وغنم منهم غنيمة عظيمة، وحين بلغ الأخشيد ذلك أنفذ عسكره مع كافور وخيار الغلمان فهزمهم سيف الدولة، ودخل حمص وأعمالها وملكها، وسار إلى دمشق، ودخلها فكاتبه الإخشيد يبذل له الموادعة بعد أن بذل له أن يحمل له من المال نظير ماكان يحمله لابن رائق، فلم يجب، وقال لما قرأ كتابه كتب إليه: « جوابك إذا دخلت مصر إنشاء الله »، ثم جرت بينهما هزائم وانصلح الأمر على أن ملك سيف الدولة حمص وحلب ومابينهما، وأفرج عن دمشق، وتزوج بابنة أخي الإخشيد، ورجع الإخشيد فمات في المحرم سنة خمس وثلاثين [1] . فمضى سيف الدولة الى دمشق واستأمن إليه جماعة منهم يانس المؤنسي، وأقام بها ثم سار لحرب كافور إلا خشيدي فنزل اللجون[2] ونزل الاخشيدية بقربه فانهزم جيشه وسار سيف الدولة الى دمشق

---

١ ـ انظر زبدة الحلب لابن العديم ط. دمشق ١٩٥١ : ١/١١١ ـ ١١٩، فعنده المزيد من التفاصيل.

(٢) اللجون: بلد بالأردن بينه وبين طبريا عشرون ميلاً معجم البلدان.

فأخذ والدته وخاصته وأمواله وسار الى حلب ثم وقع الصلح بينهم في سنة ست وثلاثين على ماكان وقع بينه وبين الاخشيدي وفي فتح سيف الدولة دمشق يقول الخالديان[1]:

ياسيف الدولة آل النبي	حويت العلا عودة وابتداء
وأنك لما ملكت الملوك	تكبرت أن تلبس الكبرياء
ولما حويت العراق وانكفيت	الى عرصات الشام انكفاء
وحزت دمشق فطهرتها	وأبدلتها في الظلام الضياء
ومامصر عنك بممنوعة	اذا ماستعنت عليها القضاء

وفيها وهي سنة ست وثلاثين ظفر الأمير سيف الدولة بالقرمطي الملقب بالهادي واستنقذ أبا وائل وفي ذلك قال أبو الطيب قصيدته التي أولها:

ألام طماعية العاذل	ولارأى في الحب للعاقل[2]

وكان أبو وائل تغلب أبو داوود بن حمدان يتولى حمص لابن عمه سيف الدولة فخرج في طلب اعراب عاثوا في عمله واعتصموا بقرية يقال لها الحدث[3] واتفق خروج القرمطي صاحب الخال[4] ومعه قبائل طيء وكلب فلقي أبا وائل وأسره في يوم الثلاثاء لاحدى عشرةليلة من شعبان من السنة المقدم ذكرها وورد الخبر الى حلب فسار سيف الدولة فنزل على معرة النعمان على ست وثلاثين ميلا من حلب ورحل[5] في ثاني يوم نزوله فنزل حماه على اثنين وسبعين ميلا من حلب، ورحل في ثالثه فنزل حمص، وركب في ثلاث ساعات من الليلة الرابعة، فصبّح القرمطي وجموعه بوادي العرب على ماء يقال له أمهين على نحو خمسين ميلا من حمص، فانهزم القرمطي وقتل وأخذت رأسه، واستحر القتل في أصحابه.

---

١) الخالديان: هما سعيد بن هاشم ومحمد بن هاشم وكانا من خواص سيف الدولة وهما شاعران كانا آية في الحفظ والبديهة نسبتهما الى الخالدين من قرى الموصل - الأعلام للزركلي.

٢) ليس في الديوان

٣) قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور - معجم البلدان.

٤) يبدو أن هذا صاحب خال جديد غير القرمطي المشهور.

٥) سقط من ل وتم تداركه من غ.

ولما استنقذ أبا وائل بعد أن كان بذل في نفسه مالاً وخيلا منها فرسا يقال لها العروس وولدها انصرف سيف الدولة فهدم القرية التي يقال لها الحدث، وأغرم أهلها خمسة آلاف دينار، ونحلها أبا وائل فكانت غيبته تسعة أيام.

سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فيها فتح الامير سيف الدولة حصن برزية[1]، وهو من عمل جند قنسرين وجند حمص، وكان مأوى اللصوص والسراق.

وفي سنة ثمان وثلاثمئة توفي للأمير سيف الدولة ولد بميافارقين يكنى ابو الهيجاء وبعد مامضى له فقال أبو الطيب يرثيه:

نبا بك فوق الرمل مابلُ في الرمل،

منها

عزاك سيف الدولة المقتدى به ... فإنك نصل والشدائد للنصل[2]

سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ومن غزواته أنه تجهز في هذه السنة، ونزل على صارخه[3] واحرق ربضها وربض خرشنه[4] ثم رحل الى السن[5] فنزل السوادُ عليه والثقل وسار جريدة حتى جاوز خرشنه وانتهى الى بطن اللقان فلقي الدمستق وهزمه وأسر مئة وعشرين بطريقا من بطارقته وزراوته، وأفلت الدمستق وعاد عسكره وسار فلما وصل العقبة المعروفة بمقاطعة الأثفار صافه العدو على رأسها فقاتل حتى أثخنه فلما نزل ركبه العدو، فنزل بالناس على نهر يعرف ببردا وضبط العدو عليه عقبة الضر فلم يقدر على طلوعها، فعدل متياسرا في طريق وصفه له بعض الأدلاء فسار فيها وأقبل الليل فتسلل أصحابه قاصدين السواد، وظهر منهم خذلان عظيم فاستنفزهم فلم ينفروا

---

١ ـ برزيه حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل ـ شمالي أفامية. معجم البلدان.

٢ ـ ليس في ديوانه.

٣ ـ صارخة بلد من بلاد الروم، معجم البلدان.

٤ ـ خرشنه بلد قرب ملطيه ـ معجم البلدان

٥ ـ السن قلعة بالجزيرة قرب سميساط. معجم البلدان.

فخاف فوات الأسرى فقتلهم أجمعين وذلك ليلة السبت لاحدى عشر ليلة خلت من جمادى الاولى من السنة المذكورة، ثم سار حتى لحق السواد تحت عقبة قريبة من بحيرة الحدث، فكانت هذه الغزوة من أعظم الغزوات لولا تخاذل الناس.

وقد كان الدمستق تسلم ثغر الحدث من أصحابه وأخربه في سنة سبع وثلاثين، فسار سيف الدولة إليه ونزله في يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرى سنة ثلاث واربعين فحط الأساس بيده، وحفر أوله بيده وحفر الناس فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس في نحو من خمسين ألف فارس وراجل الروس والبلغار والأرمن فصافه سيف الدولة في يوم الأثنين سلخ جمادى الآخرة إلى وقت العصر ثم حمل بنفسه في خمسمئة غلام من غلمانه فهزمه وأسر من بطارقته وخواصه جماعة وقتل نحو ثلاثة آلاف فارس وراجل، وأقام على الحدث إلى أن بناه ووضع بيده آخر شرافه منه لثلاث عشر ليلة خلت من رجب من السنة [1].

وسار الدمستق ونازل الحدث في سنة أربع وأربعين ونقب سوره، وورد الخبر على سيف الدولةبأن الدمستق نازله في يوم الأحد الحادي عشر من جمادى الأولى فركب سيف الدولة لوقته وسار عن حلب وأخبار الحدث مستعجمة عليه لضبط العدو الطرق، ولبس سلاحه، وجمع غلمانه وأصحابه. ولما قرب من الحدث انهزم العدو عند خروج أهل الحدث فأخذ بعض أثقاله.

سنة أربعين وثلاثمائة: في جمادى الأولى منها غزا الأمير سيف الدولة الغزاة السابقة، فأحرق القرى، وأصبح صافا يريد سمندو [2] وقد اتصل به أن العدو بها جامعا معدا في أربعين ألف فتهيب جيش سيف الدولة الإقدام عليها، وأحب سيف الدولة المسير إليها، فقال أبو الطيب من أبيات في القصيدة التي أولها:

نزور ديارا مانحب لها مغنى	ونسل فيها غير سكانها الأذنا
وإن كنت سيف الدولةالغضب فيهم	فدعنا نكن قبل الضراب القنا اللدنا [3]

---

١ ـ من أجل هذه الوقائع ولمزيد من التفاصيل، انظر زبدة الحلب: ١/ ١٢٠ ـ ١٢٥.

٢ ـ سمندو بلد في وسط بلاد الروم. معجم البلدان.

٣ ـ ديوانه. ط بيروت ١٩٦٩: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

فقال له سيف الدولة قل لهؤلاء، وأومأ بيده إلى من حوله من العرب والعجم يقولون كما تقول، وقال فيه أيضا يذكر هذه الغزاة من قصيدة أولها هذه الأبيات :

عواذل ذات الخال فيّ حواسد ... وان ضجيع الخود غني لماجد
أخو غزوات ماتغب سيوفه ... رقابهم إلا وسيحان جامد
فلم يبق من حماها من الضبى ... لمن سقيها والشدىً النواهدَ
تبكي عليهن البطاريق في الدجى ... وهنّ لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الأيام مابين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد[1]

سنة احدى واربعين وثلاثمائة : فيها بنى سيف الدولة مرعش[2]، وسار إليه الدمستق فأوقع به سيف الدولة، فقال أبو الطيب يمدحه من قصيدة أولها :

فديناك من ربع وان زدتنا كربا ... فانك كنت الشرق للشمس والغربا
فربّ غلام علم المجد نفسه ... كتعليم سيف الدولة الطعن والضربا
إذا الدولة استكفت به في ملمة ... كفاها فكان السيف والكف والقلبا
تهاب سيوف الهند وهي حدائد ... فكيف إذا كانت نزارية عربا
ويرهب ناب الليث والليث وحده ... فكيف إذا كان الليوث له صحبا
ويخشى عباب البحر وهو مكانه ... فكيف بمثني البلاد إذا عبّا[3]

سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة : فيها غزا سيف الدولة نواحي ملطيّة فسبى وأحرق، وبلغ مبلغا عظيما، وفتح حصن عرقه،[4] وأحرق مدينة ملطية، وانصرف يريد الخروج فقدم جماعة من الديلم إلى الدرب فوجدوا الروم قد أخذوه، وأسر جميع الديلم . فرجع سيف الدولة ودلّ على مخاضة للفرات فعبر منها إلى بطن هنزيط[5] وأهله غارون، فقتل منهم مالا يعلم كثرته وانتهى اليه الخبر أن الدمستق قد خرج إلى نواحي حلب فانكفأ سائرا على حصن الران إلى أن عبر الفرات بناحية شمشاط فورد

---

١ ـ ديوانه : ٩٠ ـ ٩٣ .
٢ ـ مرعش مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم . معجم البلدان .
٣ ـ ديوانه : ٣٥ ـ ٣٧ .
٤ ـ انظر زبدة الحلب : ١ / ١٢٣
٥ ـ هنزيط : من الثغور الرومية ذكره أبو فراس في شعره . معجم البلدان .

دَلـوك [1] وقد قفل الدمستق بالغنائم والسبي ، فأتبعه ولحقه بناحية مرعش على نهر سيحان وهو في جيش عظيم ، ولم يصل إلى ذلك الموضع مع سيف الدولة غير ستمائة فارس ، فما هو إلا أن وقعت عينهم عليه فانهزموا وقتلهم كيف شاء ، وأسر جماعة منهم ابن الـدمستق قسطنطين وعدة من البطارقة ، وخلّص جميع مابأيديهم من الأسرى والغنائم وانصرف سالماً فدخل حلب وعقدت له القباب ، وقال في ذلك المتنبي قصيدة اولها :

ليالي بعـد الـظاعنين شكـول طوال	ولـيل الـعـاشـقـين طويل
ألم تر هذا الـليل رؤياك رؤيتي	فتـظهـر فيه رقـة ونـحـول
لقـيت بدرب القـلة الـفجـر لقية	شفـت كبـدى والـليل فيه قتـيل
ويومـا كان الحـسـن فيه علامـة	بعـثت بها والـشمس منـك رسـول
ومـاقبـل سيف الـدولـة أثار عاشق	ولاطـلبـت عنـد الـظلام دخـول
ولـكـنـه يأتي بكـل غريبـة تروق	على استـغـرابهـا وتهـول
رمى الـدرب بالجـرد الجياد إلى العـدو	ومـا علمـوا أن الـسهـام خيول [2]

سنة أربع وأربعين وثلاثمائة : فيها ورد على سيف الدولة فرسان الثغور طرسوس وأذنه [3] والمصيصة ، ومعهم رسول ملك الروم في طلب الهدنة ، فقال أبو الطيب وأنشده بحضرتهم قصيدته التي أولها :

أراع كذا كل الأنـام همام	وسـح له رسـل المـلوك غمام
ودانـت له الـدنـيا فأصبـح جالسـا	وأيامـهـا فيها يريد قيام
تنـام لديك الـرسـل أمنـا وغبطة	وأجـفـان ربّ الـرسـل ليس تنـام
إلى كم ترد الـرسـل عما أتـولـه	كأنهم فيها وهـبـت ملام
لهم عنـك بالـبيض الجفـان تفـرق	وحـولـك بالـكتب اللطاف زحـام

---

١ ـ دلوك بليدة من نواحي حلب . معجم البلدان .

٢ ـ ليست في ديوانه .

٣ ـ هي مدينةأضنة في تركية اليوم .

٤ ـ ديوانه : ٢٥٥ ـ ٢٥٧ .

سنة خمس وأربعين وثلاثمائة فيها غزا الأمير [1]سيف الدولة ووطىء من أرض الروم موطئا لم يطأه المسلمون منذ ثلاثين سنة وكان قد أخذ معه سفنا مخلعة وأطوافا فعبر عليها نهر أرسناس [2]وقصد مدينة يقال لها تل البطريق [3]فأحرقها وبلغ من الروم مبلغا عظيما وقتل منهم أربعة آلاف رجل وغنم مايفوق الاحصاء من الدواب والحلي والديباج وعاد سالما الى آمد فدخلها، وأنشد في ذلك أبو الطيب قصيدته التي أولها :

الرأي قبل شجاعة الشجعان

وفي **سنة تسع وأربعين** سار نجا من حضرة سيف الدولة في جيش كثيف فنزل على حصن ذي القرنين [4]فحاصر أهله ووافي ميخاييل بطريق هنزيط وغيرهم في جمع عظيم قيل أنهم في عشرة أمثال المسلمين فلقيهم نجا فقتل أكثرهم وهزم باقيهم وأسر برنيق وغيره والتجأ جماعة منهم إلى جبل ليس له طريق فمضى إليهم وطلعه وقتلهم فيه ورمى أكثرهم نفسه وطلب بعضهم الأمان، وهم نحو أربعمائة، فلم يؤمنهم نجا ورأوا غره فخرجوا هاربين وركب المسلمون عليهم فقتلوا منهم وأسروا مئة وخمسين ونجا الباقون .

سنة خمسين وثلاثمائة فيها سار نجا غلام سيف الدولة إلى هنزيط فلقيه عبد الله الملطي والروم فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وانصرف سالما ومعه السبي ستمائة رأس ومئتا فرس، ثم سار إلى بلد ابن مسلمة فسبى وقتل وانصرف فأخذ عليهم الروم الدرب فقتل كل من معه من الأسرى واستقبل هو ومن معه وقاتل على الدرب حتى ملكه وهزم من عليه، وخرج ومن معه سالمين، ثم سار إلى قاليقلا فأسر خمسمائة رجل وسبى وأخذ من الأبقار والأغنام ماأعجز المسلمين سوقه ورجع إلى حلب .

وفيها قطعت دعوة الأمير سيف الدولة من طرسوس وأعمال الثغور وأقامها ابن

---

١ ـ في غ الامام .

٢ ـ نهر أرسناس اسم نهر في بلاد الروم يوصف ببرودة ماءه عبره سيف الدولة ليغزو . معجم البلدان .

٣ ـ تل البطريق بلد كان بأرض الروم في الثغور خربه سيف الدولة بن حمدان . معجم البلدان .

٤ ـ قارن ماجاء هنا بما أورده ابن العديم في زبدته : ١ / ١٣٠ ـ ١٣٣ .

الزيات والي طرسوس للمطيع لله وحده باجتماع كلمة عامتهم .

سنة احدى وخمسين وثلاثمائة فيها خرج ابن أعور في جيش للروم يريد الغارة على نواحي منبج ، فوافق خروج أبي فراس الحارث بن سعيد في عدة يسيرة من غلمانه ، وكـان العدو في ألف وثلاثمائة فارس وقد استاقوا مواشي من ضيعة يقال لها بترك ، فهـزمهم أبـو فراس واستنفـذ مابأيديهم وتبعهم ثم انصرف عنهم وقد أجهد خيله وأعطشها ، فنزل أصحابه وتفرقوا يسقون وتبعه الروم فانهزموا وركب أبو فراس وقصد البلد إدلالا بنفسه وفرسه وسلك غير طريق أصحابه فأسره الروم[١] .

سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة فيها خرج سيف الدولة وغلامه نجا إلى الغزو وترك سيف الدولة على الدروب ودخل نجا إلى ملطية فأحرق وفعل الأفاعيل وأقام ثمانية عشر يوما وانصرف سالما .

سنة أربع وخمسين وثلاثمائة صاهر سيف الدولة أخاه ناصر الدولة فزوج ابنته أبا المكارم وأبا المعالي بابنة ناصر الدولة ، وأزوج أبا تغلب بابنته ست الناس وضرب دنانير في كل دينار ثلاثين دينارا وعشرين وعشرة ، عليها مكتوب محمد رسول الله ، أمـير المؤمنـين علي بن أبي طالب ، فاطمـة الـزهـراء الحسن والحسين جبريل عليهم السلام ، وعلى الجانب الآخر أمير المؤمنين المطيع لله ، الأميران الفاضلان ناصر الدولة وسيف الدولة ، الأميران أبو تغلب وأبو المكارم ، وجاد بها لم يجد به أحد يقال أن مبلغ ماجاد به هو سبعمائة ألف دينار .

وفيها توفي أبو المكارم ابنه في النصف من شهر ربيع الآخر .

وفي شهر رمضان منها رضي سيف الدولة عن غلامه نجا بعد عصيانه إياه ، وكان نجا قد مضى إلى مناز كرد [٢]وكان تغلب عليها رجل يقال له أبو الورد فاحتال عليه نجا حتى قتله وتغلب على مناز كرد وسائر قلاعها فلما رضي عنه مولاه وعاد إليه أوقع به جماعة من غلمان سيف الدولة وقتلوه فعز ذلك على سيف الدولة وقتل قاتله وسار إلى قلاعه وملكها وحاز أموال أبي الورد جميعها ولم يزل سيف الدولة على هذه

---

١ ـ انظر زبدة الحلب : ١ / ١٣٠ ـ ١٣١ .

٢ ـ مناز كرد بلد مشهور قرب خلاط . معجم البلدان .

الأحوال فيوما له ويوما عليه إلى أن ضعف في آخر عمره لمرض لحقه فلج له نصفه وتفرقت عنه البوادي وتقاعد عنه المسلمون وانفسد مابينه وبين ابن الزيات أمير الثغور من قبله واشتغل عنه أخوه ناصر الدولة بحرب معز الدولة فلم ينجده فأتفق عليه مالم يمكنه إعادته وقويت الروم واستولى الدمستق نقفور بن فقاس لعنه الله على الثغور، وسام أهلها سوء العذاب ثم قصد حلبا على حين غرة من سيف الدولة، في حشد عظيم من الروم والأرمن فلم يشعر به إلا وقد أطل على البلد، فانهزم بعد حملة حملها على الروم بنفسه وغلمانه وابن أخيه هبه الله بن ناصر الدولة حتى كاد أن يؤخذ، وملك الروم داره بظاهر حلب وزرعها ستة آلاف ذراع وأخذ له منها مالا يحصى من الأموال شرح ذلك : ثلاثمائة بدرة مئة عين ومئتين ورق (١) وثلاثمائة حمل من البز الفاخر ومن الديباج الفاخر مما كان ادخر من عهد رومانس خمسون حملا ومن أواني الذهب والفضة مالا يحصى، ومن الخيل ثمانمائة رأس(٢)ومن البغال خمسمائة رأس ومن السلاح والمناطق والتجافيف (٣)والسيوف مئة حمل، ومن الجمال نحو ألفي جمل، ونقل سقوف الدار معه لأنها كانت مذهبة، وكان نزوله على حلب يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة احدى وخمسين وثلاثمائة، وفتح البلد في يوم الثلاثاء وأقام فيه إلى يوم الثلاثاء الكائن بعده، وانحصر أهل حلب في القلعة بماأمكنهم من أموالهم واستولى لعنه الله على البلد بما فيها، ورجع سيف الدولة إليها وقد ذهبت أكثر أمواله فبعثت إليه أخته من ميافارقين هدية عظيمة من جملتها مئة ألف دينار، فجبرت أحواله ثم لم تلبث أن ماتت، بميافارقين لثلاث بقين من جمادى الآخرى سنة اثنين وخمسين، فعظمت مصيبة بها لأنه لم يكن يجد من يغني عنها في تلك البلاد . (٤)

وقد كان سيف الدولة رداء للمسلمين بما رزقه الله من الهيبة عند العدو إلى أن مرض وضعف ولما توفي اشتد استيلاء العدو على سائر البلاد والثغور فملك طرسوس

---

١ ـ العين الذهب، والورق : الفضة .

٢ ـ سقطت من نسخة ل.

٣ ـ شيء من سلاح يتحرك على الفرس يقيه الاذى ـ النهاية لابن الاثير

٤ ـ انظر زبدة الحلب : ١/ ١٣٢ ـ ١٤١

وعين زربة والمصيصة وأذنة وانطرسوس [1]ثم ملك انطاكية وشيزر[2]وحمص ولم يستقر بها ورفنية [3]ونزل على دمشق وطرابلس فاستولى على الشام إلى أن أزال الله ذلك على يد السلطان الأعظم ألب أرسلان بن جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق وعلى يد ولده السلطان الأعظم ملكشاه [4] .

ذكر مولده ووفاته ومدة مملكته ومقدار عمره .

ولد رحمه الله في يوم الأحد لثلاث عشر ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وتوفي ضحوة نهار الجمعة لخمس بقين من صفر سنة ست وخمسين ، وهذه السنة سنة القران الذي قضى بهلاك مشيخة الملوك .

مات فيها سيف الدولة ، وقبض على أخيه ناصر الدولة ومات في آخرها كافور الإخشيدي ، ومات فيها معز الدولة بن بويه الديلمي ، ومات فيها وشمكير بن زيار الجيلي ، وكانت مدة مملكة سيف الدولة نحو ثلاثين سنة ، وعمره يوم توفي اثنتان وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام ، وكان مرضه بالفالج فلج نصفه الأيسر ، ثم أخذه القولنج والحصى .

سيرته : كان شيخا كريما شجاعا معجبا بآرائه محبا للفخر والبذخ ، مفرطا في السخاء والكرم شديد الاحتمال لمناظريه والعجب بآرائه ، سعيداً مظفراً في حروبه جائراً على رعيته ، اشتد بكاء الناس عليه ومنه أولاده :

أبو الهيجاء عبد الله : توفي سنة ثماني وثلاثين وثلاثمائة ، ورثاه أبو الطيب بقصيدة أولها . . . . .

نبا بك فوق الرمل مابك في الرمل

منها :

عزاك سيف الدولة المقتدى به   فانك نصل والشدائد للنصل

---

١ ـ أنطرسوس بلد من سواحل بحر الشام . هي طرطوس الحالية . معجم البلدان

٢ ـ شيزر قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة . معجم البلدان

٣ ـ رفنية كورة ومدينة من أعمال حمص ـ هي بارين أو بعرين ـ معجم البلدان .

٤ ـ انظر كتاب مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية . ط دمشق ١٩٧٥ : ١٤٠ ـ ٢٠٦

أبو البركات أكبر أولاده، توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين في حياته أبو المعالي شريف، أبو المكارم مات في حياته، ست الناس ابنته.

كتابه: أبو الحسن علي بن الحسين المغربي، والد الوزير، أبو محمد بن الفياض أبو اسحق محمد بن احمد القراريطي أبو الفرج محمد بن أحمد بن علي السُّرَّمن رأى، أبو عبد الله محمد بن سليمان بن فهد الموصلي وغيرهم.

حجابه: نجا غلامه، قرغويه، بقا، يمال، وغيرهم.

عدة الدولة الغضنفر أبو تغلب بن ناصر الدولة

لما قبض أبو تغلب على أبيه أطاعه سائر إخوته إلّا ماكان من أخيه أبو المظفر حمدان، وهو الذى يليه في العمر فإنه امتعض مما جرى عليه، وكان ناصر الدولة مائلا إليه مؤثراً له على سائر الأولاد حتى أنه قلده الرحبة، ولما مات عمه سيف الدولة سار إلى الرقة ونصيبين فملكها، وسوغه والده ارتفاع جميع تلك البلاد، فكتب إليه أخيه أبي تغلب يأمره بإطلاق ناصر الدولة، وتوعده على ذلك فعز عليه ماتوعده به .

وسار إليه في الرقة، فتحصن حمدان منه في الرافقة، وطالت مدة الحصار ولم يفز أبـو تغلب منها بطائل ثم وقع بينهما صلح، فرجع أبو تغلب، ولما حصل بالموصل إستعمل القبيح مع وكلاء حمدان على ضياعه وأملاكه، وأساء جوارهم فكاتبه حمدان في ذلك وتهدده، فعاد الأمير إلى ماكان عليه من الخلف وقبض أبو تغلب ضياعه، وطرد وكلاءه، وأنفذ إليه جيشاً عليه أخوه أبو البركات، فهرب حمدان وأخذ أمواله وحرمه إلى بغداد، ونزل عند عز الدولة بختيار بن معز الدولة، فتوسط الصلح بينه وبين أخيه، وتم الصلح، فتسلم حمدان الرحبة ثم فسد مابينهما بعد ذلك، فبعث أبو تغلب أخاه أبا البـركـات في جيش إلى الـرحبـة فخرج حمدان عنها منهزماً، وسلك طريق دمشق ودخل ابو البركات الـرحبـة وانصـرف وخلف بها طائفـة من جيشـه مع بعض غلمانه، وانصرف عائداًإلى الموصل ولحق حمدان عطش في طريقه فرد مخاطراًبنفسه، فأتى ظاهر الرحبة ليلاً فتهيأ لنفر من غلمانه أن دخلوا البلدة من ثلمة يعرفونها في سورها وفتحوا الباب فدخل حمدان واستكن وراء السور والقوم غافلون وأمر بالبوق في ظاهر البلد فبادر أجناد الجيش منقطعين إلى الباب وأخذ حمدان يقتلهم أول بأول وأسر الوالي وعامل الخراج وغنم أموالهما وجميع سواد عسكرهما وكراعهما، ثم سار على شاطىء الفرات في الجانب الشامي مصعدا إلى قرقيسيا، واتصل الخبر بأبي البركات فعطف إليه وحاذاه من الجانب الجزرى وبينهما الفرات، وطلبا الاجتماع فركب كل

واحد منهما في زورق والتقيا بعد أن طوّف كل منهما زورق صاحبه وتخاطبا فلم يتم الصلح بينهما، ولم يمكن أبو البركات المقام بموضعه لضيق الميرة على عسكره، فارتفع على شاطىء الفرات يريد الخابور، واتصل بحمدان مئتا فارس من بني نمير مستأمنين له، وكان معه ثلاثمائة غلام لنفسه، فعزم عند ذلك على تعدية الفرات والتصعلك على عسكر أخيه، وكان فيه إقدام شديد وبأس عظيم، فعدا في خيله جريدة وسار فأدركه بموضع يعرف بماكسيني [1]وهو راجل، فنزل حمدان أمامه بفرسخين، وبات ليلة، ثم بكر وقد استعد، فأدركه وهو سائر على غير أهبة وعسكره منقطع فقيل إن حمدان قد وافى، فعاد في بعض غلمانه ليلحق به باقي عسكره، وبث حمدان التميميين للإغارة على سواد أخيه، وصمم عليه حاملا فوجده متسرعا في أول الناس وعرف كل منهما أخاه فالتقيا، فضربه حمدان في رأسه فسقط إلى الأرض فأخذه أسيراً، واستباح سواده، وانقسم عسكره إلى مستأمن وأسير وقتيل، ثم انكفأ إلى قرقيسيا [2] . ليعالج أخاه من ضربته فتلف بعد ثلاثة أيام فأنفذه في تابوت إلى الموصل، واستحكمت عند ذلك العداوة، بين حمدان وبين أبي تغلب وأخته جميلة، واختلف باقي الإخوة، وكانوا متفرقين في أعمالهم، فبلغ أبا تغلب أن أبا الفوارس محمدا، وكان والياً على نصيبين، قد عزم على مصافه أخيه حمدان، فاحتال عليه حتى قبض عليه في شهر شعبان سنة ستين وثلاثمائة .

وفي شهر شوال من سنة إحدى وستين، سلم أخو حمدان لأمه لأبي تغلب قلعة ماردين[3]، فأخذ منها جميع أمواله وحرمه، ووجد فيها مائتي ألف درهم، ومن الفرش والجوهر والثياب ماحمل على نيف وسبعين بغلاً، وكان المحاصر له بجيش أبي تغلب أبو اليقظان عمار بن أبي السرايا نصر بن حمدان.

ودخل ملك الروم نصيبين يوم السبت مستهل سنة اثنتين وستين، وفي آخر يوم من شهر رمضان منها أوقع أبو القاسم هبة الله بن ناصر الدولة بالدمستق، الوقعة

---

١ ـ ماكسيني : بلد على نهر الخابور . معجم البلدان .

٢ ـ قرقيسيا : بلد على نهر الخابور، هي البصيرة حاليا في سورية . معجم البلدان .

٣ ـ قلعة ماردين : قلعة مشهور مشرفه على جبل الجزيرة . معجم البلدان .

المشهورة، وكان الدمستق في نحو خمسين ألفا، فأسر وقتل جميع الجيش أو أكثره، وكانت الوقعة على بلد ومن قبلها أوقع ـ سبك والي ميافارقين بمعسكر لهم كانت عدته ستة آلاف فقتل منهم ألفين وأسر باقيهم وملك جميع سوادهم وقتل سبك في الوقعة، وكان أول ذلك أن الدمستق خرج، وملك نصيبين في سابع عشر المحرم سنة اثنتين وستين، وغلب على ديار ربيعة[1] بأسرها وملك أكثر أهل نصيبين، وسبى منها السبي العظيم، وأقام بها نيفا وعشرين يوما، وحمل إليه أبو تغلب مالاً استفكه بها، وورد من تلك البلاد خلقا ومنعوا الخطيب من الخطبة، ثم ورد الكتاب بأن الدمستق عمل على المسير إلى آمد وبلغ هزارمرد غلام عبد الله بن حمدان وهو بها خبره، فكاتب أبا تغلب، واستصرخ به فأنفذ إليه هبة الله في جيش كثير فأغذ المسير حتى وصل آمد ليلة الفطر، ونزل بظاهرها فلما كان من غد جاء الدمستق قاصداً إلى هبة الله فلقوه في مضيق، وكان من أمره ماذكرناه .

وأما محمد والي نصيبين لأبي تغلب المقدم ذكره فلم يزل معتقلا في قلعة أزدمشت [2]حتى هرب أبو تغلب وملكها عضد الدولة بن بويه الديلمي كما تقدم في أخباره، ثم أخذ في إستفساد إخوته واحدا واحدا حتى صاروا بأجمعهم إليه إلاّ أبو طاهر ابراهيم فإنه استأمن إلى بختيار ومضى إلى بغداد وسار أبو تغلب مع جماعة إخوته إلى قرقيسيا فنزل بها، وبعث أخاه أبا القاسم هبة الله إلى الرحبة في جيش ليكبس حمدان بها، ولما أحس حمدان به، خرج هاربا واتبعه ابنه أبو السرايا، وسلك طريق البرية وكاد هبة الله أن يأخذه، وقيل أنه قدر عليه وتركه، وتم حمدان إلى بغداد، فدخلها في ذي الحجة سنة ستين وثلاثمائة واجتمع مع أخيه إبراهيم فأقاما عند بختيار مدة، ثم كوتب ابراهيم من الموصل، بالعودة إلى طاعة أخيه فهرب وأخذ معه أخاه ذا القرنين ـ وكان رئيسا عند عز الدولة ـ ووصل إلى الموصل، وأغضب ذلك بختيار، فسار في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين، فوصل إلى الموصل ودخلها

---

١ ـ ديار ربيعة : بين الموصل إلى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين . معجم البلدان .

٢ ـ قلعة أزدمشت : قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر في مشرقي دجلة الموصل . معجم البلدان .

ورحل أبو تغلب إلى سنجار ثم سار منها إلى مدينة السلام فرد إليه بختيار في البر الحاجب سبستكين، وأخاه حمدان، وسير ابن بقية الوزير في البحر، وعسكر أبو تغلب على القرية المعروفة بالفارسية[1]، ونزل الحاجب عكبرا فرحل أبو تغلب إلى المارحية وتطاردت خيولهما ثم تقرر بينهما صلح وأجاب إليه بختيار على أن يفرج الغضنفر لأخيه حمدان عن ضياعه فأجاب أبو تغلب، واشترط أن تزف إليه زوجته أخت بختيار وأن يلقبه الخليفة، فزفت إليه، وسارت إليه مع اللقب بعدة الدولة في يوم الخميس لعشر ليال بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، واستقر أمر الغضنفر بالموصل إلى أن ملك عضد الدولة بغداد وأخرج ابن عمه بختيار إلى الشام، وشرط عليه أن لا يعرض لشيء من بلاد الغضنفر، فأجاب إلى ذلك، وسار صحبته حمدان بن ناصر الدولة، فلما وصل عكبرا أفسد حمدان نيته، وحرضه على طلب أخيه أبي تغلب، فعزم على ذلك، وسار فنزل تكريت فوصل إليه رسول أبي تغلب بهديته وسار في صحبة الهدية، وكان الرسول علي بن عمر كاتبه، فلما صحبه في الطريق خلا به وأفسد نيته على حمدان وعرفه أن مصالحة أبي تغلب بإفساد حمدان هي الرأي الصريح، وذكر له عنه أنه إن سلمه إليه عاضده على إخراج عضد الدولة من العراق وإعادته إلى مملكته، فتلوى عز الدولة من ذلك وأخبره أنه حلف له بهمذان أيمانا لا يمكن الحنث فيها، فلم يزل يغويه إلى أن بعث أخاه عمدة الدولة إلى الموصل، واجتمع بأبي تغلب وأخذ عليه العهود على نصرة أخيه عز الدولة إن سلم إليه حمدان، ثم رجع إلى أخيه فأخبره الخبر وعرفه أنه إن لم يفعل قاتله أبو تغلب وليس له به طاقة فقبض عند ذلك بختيار على حمدان بغيا وغدرا وظلما، وبعث به إلى الموصل فتسلمه أبو تغلب، وأخته جميلة وحبساه ثم قتلاه صبرا، وهرب ولده أبو السرايا إلى عضد الدولة، فلما فتح عضد الدولة الموصل، وجد في بعض القلاع مقتولا، فورد تابوته في شهر رمضان سنة ثمان وستين وثلاثمائة ودفن[2] في مقابر قريش، فأكرمه بدفنه، ووقع الاتفاق بين الغضنفر وبين بختيار -

---

١ - الفارسية : قرية مشرفة على نهر عيسى من قرى بغداد . معجم البلدان .

٢ - في الأصل : ووقف ، وهو تصحيف صوابه ماأثبتناه .

على الحشد بعد أن اجتمعا على ظهور الدواب فلما اجتمع لهما من الحشود ماأراداه سارا إلى بغداد، وخرج عضد الدولة فنزل قصر الجص[١] غربي سُرَّمن رأى، وأتى عز الدولة وعدة الدولة فنزلا قبالته وباكرا القتال في يوم الأربعاء لاثنتي عشر ليلة بقيت من شوال سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، فهزمهما عضد الدولة وقتل بختيار في المعركة وانهزم عدة الدولة وقد جرح، وسار عضد الدولة فدخل إلى الموصل في يوم الجمعة لاثنتي عشر ليلة خلت من ذي القعدة، وبعث جيشا مع الحاجب طغان إلى الجزيرة، وجيشا مع أبي الوفاء طاهر بن محمد لطلب أبي تغلب وعمدة الدولة، ومحمد ابن عمة معز الدولة والمزربان بن بختيار، وقد كانوا ساروا إلى ميافارقين وافترقوا، فسار أخو بختيار وابنه ووالـدتـه - إلى دمشق لغلام أبيهم افتكين المِغربي وكثر تِدْوار أبي تغلب على البلاد والتنقل من مدينة إلى أخرى والجيوش تطلبه وتأخذ عليه الطرق إلى أن سار إلى حصن زياد، وكاتب ملك الروم فلاروس المنعوت بورد وكان له صديقا يطلب منه الإنجاد، وكان ورد قد خرج عليه ملك آخر وانفض عنه جميع الروم، فبعث إلى أبي تغلب يسأله أن يلحق به ليلقى الخارج عليه فإن نصر عليه عاد معه لنصرته، فبعث إليه أبو تغلب قطعة من جيشه واتفق إن كانت الدائرة على ورد، فيئس أبو تغلب ثم عاد فنزل آمد وأقام فيها قريبا من شهرين ففتحت ميافارقين والجزيرة وسائر بلاده

فخـرج عنـد ذلـك عن آمـد وسـار إلى دمشق، وملك عضـد الـدولـة آمـد والرحبة وسائر بلاد بني حمدان إلاّ ماكان في يد سعد الدولة بن سيف الدولة، فإنه لم يتعرض إليها كحلب وديارمِضر وربيعة، وماوالاهم من الحصون لخدمة خدمة فيها سعد الدولة، ثم ملك عضد الدولة بعد ذلك قلاع أبي تغلب التي فيها أمواله وأثاثه، وهذه القلاع في جانب دجلة الشرقي على طريق الجزيرة، وهي قلاع عدة منها قلعة أذمشت، وكانت برسم الفرش والصناعات والعدد .

ولما فتـح عضـد الدولة هذه القلعة وحاز مافيها، قوّم عليه بنيف وعشرين ألف ألف درهم، ووجـد أبـو الفـوراس بن ناصر الدولة معتقلا ثماني سنين، فأطلقه وأكرمه ورد عليـه ضيـاعه ومنها قلعة الشعباني وقلعة أهروز وغيرهم من القلاع، ولما خرج أبو

---

١ ـ قصر عظيم قرب سامراء، بناه المعتصم للنزهة . معجم البلدان .

تغلب من آمد وسار إلى دمشق، وجد قسام العيار متغلبا عليها، فنزل بظاهرها وكتب إلى ملك مصر العزيز يسأله توليه الشام، فخاف العزيز عاقبته وكاتبه بأنه يفعل ذلك، وكاتب قسام بأن لا يسلم إليه البلد، وطال الأمر على أبي تغلب وضجر من تردد الرسل بغير جدوى، واجتمعت معه بنو عُقيل، فسار قاصداً الرملة في المحرم سنة تسع وستين، فهرب المفرَّج بن الجراح منه، ثم استنجد واجتمع له جمع عظيم، ووافى الرملة والتقى مع أبي تغلب على بابها في يوم الأثنين لليلة خلت من صفر سنة تسع وستين فانهزمت بنو عقيل وسائر من مع أبي تغلب، ولم يبق إلاّ غلمانه وهم سبع مائة فارس، فانهزم بهم وأدركته الخيل فثنى وجهه لقتالهم فقتلت فرسه وأسره مسبع الطائي ابن عم لدغفل بن الجراح، وسلمه إلى المفرج فقتله، قتل في يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من صفر سنة تسع وستين وكانت ولادته يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة[1] . وكانت مملكته إلى انفصاله عن آمد نحو من اثنتي عشرة سنة .

أولاده أبو الهيجاء، أبو الفتح، نصر الله .

كتابه : أبو موسى النصراني، قره بن دنحا، أبو الحسن علي بن عمر بن ميمون، علي بن عمر بن عمرو .

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي . ط . دمشق / ١٩٨٣ : ٣٨ ـ ٤٠ .

سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة

لما توفي والده سيف الدولة بحلب كان غائبا بديار بكر، فاجتمعت غلمان أبيه قرغـويه وبقا وبشارة وغيرهم على تقديمه ونصرته، وضبط قرغويه حلباً نيابة عنه، وبعث تابوت مولاه إلى ديار بكر مع بقا وبشارة الخادم في جمادى الأول من السنة التي توفي فيها، وهي سنة ست وخمسين وثلاثمائة وكان بين بقا وبشارة منافرة، فأذاع بقا عنه أنه قد كاتب حمدان بن ناصر الدولة وكان قد غلب على الرقة، ونصيبين عند وفاة عمه وحثه على أخذ حلب.

وكتب بقا إلى قرغويه بذلك فقبض على أسباب بشارة بحلب، ولما وقف بشارة على الخبر داخل بقا فآنسه وآنس به وصفى نيته له وأخبره أنه يقصد ديار بكر، ويعمل على أبي المعالي شريف ابن مولاه فيقبض عليه، ويملك التدبير وضمن لبشارة أنه يسلم إليه ميافارقين، فأظهر له بشارة القبول وسار بمسيره، فلما قربوا من ميافارقين كتب بشارة مع من يثق إليه إلى ابن مولاه يحذره الخروج للقاء التابوت ويعرفه ماعزم عليه بقا، فلما قرب بقا كتب إليه بخبر التابوت ويرسم له أن يخرج لتلقيه وقد عزم على أنه إن خرج قبض عليه، فأظهر أبو المعالي علة وامتنع من الركوب، وأخرج كل من في البلد لتلقيه، وضرب بقا مضاربه ولم يدخل المدنية ووكل بأبوابها خلقا من الرجال الذين خبرهم، وقبض على قوم من الكتاب وطالبهم بنفقة ينفقها في رجاله، فدخل بشارة المدينة وطلع على السور وغلق الأبواب وخاطب أصحابه عن الأمير أبو المعالي بكل جميل فانفلوا عن بقا وبطل مادبره، وسار إلى مناز كرد وكتب إلى أبي المعالي يطلب منه الأمان ففعل، ولما حصل عنده قبض عليه وسلمه إلى بشارة فقتله ولما قتله كتب بالخبر إلى قرغويه وهو بحلب فسره وأفرحه ظهور كلمة أبي المعالي، وسار أبو المعالي

إلى حلب في رجب سنة ست وخمسين، وقد كان أبو فراس الحارث بن حمدان وهو خال أبو المعالي شريف قد أقطعه سيف الدولة حمص بعد خلاصه من الأسر فأكثر الظلم لأهلها والتعدي عليهم، ولما توفي سيف الدولة اضطربت أموره وجرت له أحوال يطول شرحها، وفسد مابينه [1]وبين ابن أخيه أبو المعالي شريف، فسار إليه أبو المعالي، فانحاز أبو فراس عن حمص إلى ضيعة له في طرف البرية تعرف بصدد[2]وجمع سعد الدولة الأعراب مع قرغويه من بني كلاب وظالم العُقيلي، وكان ولاه خرشنه، وبعثهم على مقدمته مع قرغويه وقطعة كبيرة من غلمان أبيه، فكبس أبا فراس بصدد، فخرج نحوهم وناوشهم القتال فاستأمن [نفر] من أصحابه فاختلط بمن استأمن فأمر قرغويه بعض غلمانه بقتله فضربه على رأسه بدبوس مضرس فسقط من على دابته، ونزل الغلام فحز رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن كفنها بعض الأعراب ودفنها، وعاد سعد الدولة إلى حمص فولاها لذكا غلام قرغويه، ثم إن قرغويه فسد مابينه وبين سعد الدولة ووافقه أكثر الغلمان وأهل البلد فأخرج أبا المعالي منها وغلب عليها وغلامه بجكور وقطعا دعوته وسار سعد الدولة إلى أرزن وميافارقين فمر بحران [3]فغلق أهلها الأبواب في وجهه ولم يفتحوا له.

واستمروا على دعوته ومضى هو إلى ميافارقين إلى حضرة والدته، فبلغها أن غلمانه قد عزموا على القبض عليها وحملها إلى القلعة، فأغلقت أبواب المدنية في وجه ابنها ثلاثة أيام إلى أن توثقت منه ومن أجناده، ثم فتحت الأبواب وصلحت أمورهم وأطلقت أرزاق غلمانه، فاحتشد وجمع وسار إلى حلب، فنزل عليها في رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وحاصرها، وفي مدة غيبته عنها نزل أبو البركات بن ناصر الدولة في جيش على ميافارقين فأغلقت والدة أبي المعالي الأبواب وضبطتها وراسلته تتعرف منه سبب مقصده، فعرفها أنه يريد الغزو، وأنه يريد منها ماتساعده به فبذلت

---

١ ـ في الأصلين: وبين أخليه، وهو تصحيف صوابه ماأثبتناه، انظر زبدة الحلب: ١ / ١٥٦ - ١٥٧.

٢ ـ ماتزال تحمل هذا الأسم قرب مدينة حمص.

٣ ـ من أشهر مدن سورية القديمة هي في تركية حالياً قبالة مدينة الحسكة السورية.

له مئتي ألف درهم، فلم يقنع بها وطلب منها ضياعا لسيف الدولة بالقرب من نصيبين، وكانت تعمل في التدبير عليه وهي تشغله بأمر المال فتم تدبيرها عليه وذلك أنها سيرت لمن معه من غلمان زوجها وقالت لهم : أماكان من حق مولاكم عليكم أن تصونوا حرمه ولاتتعرضوا لهم؟ فتقاعدوا عن أبي البركات، ثم خرجب في أجنادها وكبست أبي البركات في الليل فأخذت جميع سواده وقتلت من غلمانه وأصحابه نحو الخمسين، وانهزم أبو البركات وراسلها بأني لم أتعرض لأمر البلد فردت عليه جميلا وردت عليه بعض مانهبت منه وألقت له مئة ألف درهم، وأطلقت له حاجبه وكانت قد أسرته فرحل عنها على هذه الحالة، ولم يزل أبو المعالي على حصار حلب حتى فتح الروم أنطاكية في يوم النحر من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين واستقروا بها وأنفذوا جيشا لأخذ حلب عليه الطرباري الخادم فارتحل أبو المعالي عنها إلى خناصرة[1] .

ونزلت الروم على حلب وملكو المدينة وصالحهم قرغويه على أن يؤدي إليهم جباية[2]وتكون في ذمتهم إلى أن يتوفى فإن مات ولي مكانه غلامه بكجور وكتب بينهم كتا ب مشهور [3]ونزل أبو المعالي عند ذلك معرة النعمان ووالدته نائبة بميافارقين ومعه غلام أبيه رقطاش يدبر أمره كله ولما ورد الخبر بأن ملك الروم تحرك لقصد ديار بكر خافت والدة أبي المعالي أن لاتفي بضبط ميافارقين فتبرأت من الأمر ودبر البلد أهله ثم راسلوا أبا تغلب بن ناصر الدولة يسألونه تسيير والي إليهم أبا الفوارس هزامرد أحد مماليك سيف الدولة الكبار عنده .

وفي سنة تسع وخمسين وقع الصلح بين أبي المعالي وقرغويه ودعي له بحلب، وكان أبو المعالي ينزل بحماه ورفنيه، وكانت حمص في ذلك الوقت قد أخربها الروم حين دخلوها في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فنزل رقطاش غلام سيف الدولة بها وعمرها لمولاه أبي المعالي، فنزلها بعد ذلك، وكان قرغويه قد قدم غلامه بجكور، فقبض عليه واعتقله وملك حلبا وأقام بها نحو خمس سنين فلم يرض أهلها سيرته،

---

١ ـ خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية . معجم البلدان .

٢ ـ في الأصل جالية وهو تصحيف صوابه ماأثبتناه .

٣ ـ نسخته في زبدة الحلب لابن العديم : ١ / ١٦٣ ـ ١٦٨ .

وكاتبوا أبا المعالي فسار إليها ونزل معرة النعمان وفتحها واحد من غلمانه متغلبا عليها يقال له زهير، ثم نزل على حلب في سنة ست وستين وثلاثمائة وأقام عليها نحواً من أربعة أشهر ثم افتتحها بحيلة وتحصن بجكور بالقلعة، ثم صالح على أن يوليه أبو المعالي حمص وسلم القلعة بما فيها، وعظمت مملكة أبا المعالي وقويت ووفى لبجكور، واتفق ملك عضد الدولة بغداد، وكاتبه أبو المعالي يبذل له الطاعة والدعوة، وأرسل في ذلك ابن ناصر العلوي، فقوبل بالجميل وينجز له من الطائع الخلع واللقب بسعد الدولة والولاية على مافي يده من الأعمال مع رسوله وخادم من دار الخلافة، وكان جلوس الطائع لذلك في رجب سنة سبع وستين .

وأقام بكجور بحمص مدة وعمرها أحسن عمارة وأمن الناس بها وبطرقاتها حتى أنه لم يكن بالشام موضعا آمنا إلّا هي وضواحيها، إلى أن وقع بينه وبين مولاه أبي المعالي في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة واقع أدى إلى أن سار بكجور ونزل على حلب يحاصرها، وبلغ ملك الروم ذلك فسار لنصرة أبي المعالي ونزل أنطاكية ومعه مفرج ابن دغفل بن الجراح، وكانت بينه وبين بكجور مودة فكتب إليه يخبره أن الروم على قصده فرحل عن حلب وسار إلى حمص فأخذ ماأمكنه من أمواله، وقد كان العزيز صاحب مصر قد استدعى بكجورليوليه الشام ودمشق لما اشتهر من شهامته، فلما رحل عن حلب دخل في جملته وتولى دمشق بعد خطب عظيم جرى له واضطراب حال، ودخلت الروم مع بارديس بعده حمص الدخلة الثانية باذن سعد الدولة لانه تخوف أن يملكها بكجور بالمغاربة في يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وتسلم بكجور دمشق بعد ماذكرناه كما أشرنا إليه في يوم الأحد مستهل رجب سنة ثلاث وسبعين [1]وانصرف باتكين التركي إلى مصر وكان سبب ماجرى عليه من الاضطراب الوزير يعقوب بن كلس[2]فلما علم ذلك بكجور قصّر في أمره وكلاءه في دمشق، فاستحكمت المقاطعة بينهما، وأفسد ابن كلس نزار على بكجور، فبعث في سنة ثمان وخمسين منير الخادم قاصداً إخراج بكجور من غير إظهار

---

١ ـ وتسع وسبعين سقط في غ واستدرك من ل .

٢ ـ سقط في غ واستدرك من ل .

ذلـك، وإنما كان اظهارهم أنهم قصدوا طرد مفرح بن دغفل بن الجراح عن عمل دمشق لأنه كان في خدمة بكجور، وجرى بعد ذلك من الأمور ماأوجب رحيل بكجور بأمواله وحرمه في يوم الثلاثاء النصف من رجب سنة تسع وسبعين عن دمشق وتسلمها منه في يوم الأربعاء، وسار بكجور إلى الرقة وقد كان بعث غلامه وصيفا في سنة ست وسبعين إليها وتسلمها من ديلمي كان بها من أصحاب عضد الدولة بعد وفاته، فلما دخلها بكجور راسل الامام الطائع لله فلم يجد عنده مايؤثره، فأقام على الدعوة لنزار فبعث إليه إني ماأردت إخراجك عن دمشق وإنما أردت طرد ابن الجراح وآية ذلك أني أبقي عليك ضياعك وأموالك بها، وأقام بكجور بالرقة وقوي أمره واشتد طمعه في أخذ حلب من سعد الدولة، فكاتب نزار بذلك وطلب إنجاده، فكتب نزار إلى نزال والي طرابلس بالمسير إليه متى استدعاه وأخذ بكجور في جمع العرب، فلما اجتمع له مايريده كتب إلى نزال أن يلحقه إلى حلب، وكان بكجور قد قصر في مكاتبته إلى عيسى بن نسطورس النصراني، وكان نزال من صنايع عيسى فكتب إليه بأن يتقاعد عن بكجور، فلما سار بكجور نزل على حصن بالس فحاصره خمسة أيام فلم يتمكن منه، فسار قاصداً حلباً معتقداً أن نزال سيأتيه، وكان سعد الدولة كاتب باسيل ملك الروم يعلمه عصيان بكجور عليه واعتصامه بالمغاربة منه ويسأله أن يرسم للبرجي نائبه على أنطاكية وسائر الثغور إنجاده متى استدعاه، فرسم باسيل للبرجي أن يسير إلى سعد الدولة متى احتاج إليه فلما وافى بكجور بعث سعد الدولة إليه يستدعيه فسار إليه ونزل مرج دابق على فرسخين من حلب ونزل بناحية تعرف بالناعورة، وبرز سعد الدولة في غلمانه وغلمان أبيه وأصحابه فكانت عدته ستة آلاف فارس ولم يكن معه من العرب إلّا بني عمرو بن كلاب في خمسمائة فارس، وسائرهم مع بكجور واستظهر قبل خروجه بأن رفع حرمه وأمواله إلى القلعة، ولما رأى لؤلؤ الجراحي الكبير غلام سيف الدولة عسكر سيده وهو حينئذ أسفهلاره [1] فرح ونزل فصلى ركعتين ودعا لله أن يديل مولاه من غلامه بكجور، ثم كتب كتاباً إلى بكجور يبذل له أن يقطعه من الرقة إلى حمص، فلما وصل إليه قال للرسول : الجواب ماتراه دون ماتسمعه، ثم سار طالبا له

---

١ ـ أسفهلاره : كبير ضباطه أو قادته .

بعد أن قدم مقدمته مع غلاميه ياروخ، ورشيق، وقدم [1]سعد الدولة مقدمته وسار تابعا لها إلى أن نزل بدير الراهب، وتطارد فرسان المقدمتين، وكان سعد الدولة يخلع على من أبلى وينعم عليه ويحمله، وبكجور يكتب أسماء من أبلى من أصحابه لينظر فيه فيغير ذلك قلوبهم، ثم أن سعد الدولة كاتب أعراب بكجور وأطمعهم فعصوا عليه وساروا إلى سواده فنهبوه فاستشار عند ذلك كاتبه أبا الحسن علي بن الحسين المغربي، والد الوزير أبي القاسم وكان سعد الدولة قد استكتبه له فقال له : الرأي أن تعود إلى الرقة وتكاتب العزيز ويتأخر نزال عنك ثم تعتد وتعود، فقال : ابن الجفاني أحد قواده، وقد قال له : ماتقول أنت ؟ إن كاتبك هذا يقول في دستة إن الأقلام تنكس الأعلام، فإذا حقت الحقائق أشار علينا بالهرب وإذاهربنا فأي وجه يبقى لنا عند الملوك وزوجة من يهرب اليوم طالق فليس إلّا السيف إما لنا وإما علينا، فلما سمع المغربي ذلك خاف وكان قد وافق بدوياً يقال له سلامة بن تريك على أن يحمله إلى الرقة متى كانت هزيمة، فمضى إليه وبذل له ألف دينار فأوصله إلى الرقة .

ولما كان يوم السبت لسبع خلون من صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة سار كل من العسكريين إلى الآخر. والتقيا وعزم بكجور لما فيه من فضل الشجاعة على أن يقصد مكان سعد الدولة في كتيبة من غلمانه تخيرها، فبادر أحدهم واستأمن إلى لؤلؤ الجراحي وعَرَّفه الصوره، فأسرع لؤلؤ إلى سعد الدولة وقال له ياMولانا هب لي هذا المكان وانتقل إلى مكاني ففعل ووقف لؤلؤ وعلى رأسه لواء سعد الدولة والعمارية [2]وراء ظهره على رسم الحمدانية، وجال بكجور في أربعمائة غلام وحمل عقيب جولته فأفرجت له العساكر ولم يزل يضرب بالسيف حتى وصل إلى لؤلؤ فضربه بالسيف على الخوذة ظنا منه أنه مولاه فقدها، ووصل السيف إلى رأسه فوقع لؤلؤ إلى الأرض وحمل العسكر على بكجور، وأظهر سعد الدولة نفسه فقويت قلوب أصحابه وإنهزم بكجور

---

١ ـ في الأصلين سيف، وهو تصحيف صوابه ماأثبتناه .

٢ ـ العمارية : دمية على شكل فتاه ترمز إلى الظعينة توضع على ظهر جمل وتوضع عليها الحلي، كي يقاتل الفرسان حولها .

سابع ستة طالبا حلباً، واستولى القتل والأسر على غلمانه وألقى جوشنه [١] وتجفافه [٢] وكانت قيمته ألف دينار فاختفى في رحى بظاهر حلب وتنقلت به أمور إلى أن استجار ببعض العرب فخانه وحمله إلى سعد الدولة فأوقفه من وراء السرادق[٣] واستدعى حاجبه لؤلؤ الجراحي فأتاه وهو جريح فقال له مارأيك في بكجور فقال : المبادرة بالقتل لئلا تسأل فيه سيدتنا الرئيسة يعني ست الناس، ابنه سيف الدولة فيرجع لنا منه شغل قلب فأمر سيافه فرجا العدلي بضرب رقبته ورقبة ابن الجفاني، فحملا إلى حصن الناعورة[٤] فقتلهما وعلقا بأرجلهما، ثم سار سعد الدولة بعد أن ردّ الروم قاصداً الرقة فنزلها وتحصن منه سلامة الرشيقي غلام بكجور، وكان ممن انهزم في حصن الرافقة [٥] ومعه حرم بكجور ومولاه وابن المغربي كاتبه فكاتبه في تسليم الحصن فبعث إليه سلامة اني عبدك ومملوكك ولكن لبكجور عندي صنائع تمنعني من تسليم الحصن إلّا بعد الاستيثاق لحرمه وأولاده، فإن أمنتهم على أن يكون لك السلاح من أموالهم دون غيره سلمت لك الحصن، فأجابه سعد الدولة إلى ذلك وحلف له وتسلم الحصن، ولما نزل أولاد بكجور وحملوا أموالهم قال ابن أبي حصين قاضي حضرة سعد الدولة : إن بكجور مملوكك لم تعتقه ولم تبعه وأولاده كذلك ولامال لهم وإنما المال مالك ولاإثم عليك في أخذه، فقبض عليهم عند ذلك وهرب ابن المغربي إلى الكوفة وكتب أولاد بكجور إلى نزار العزيز بخبرهم .

فكتب كتابا إلى سعد الدولة يتهدده بأنه إذا لم يطلق آل بكجور وأموالهم بعث إليه الجيوش، وأنفذا الكتاب مع فائق الصقلبي، فوصل وقد عاد من الرقة وهو نازل بظاهر حلب فلما وقف على الكتاب غضب وأمر باحضار الرسول وصفعه إلى أن يأكل الكتاب، فقال فائق : أنا رسول وما عرف من الملوك معاملة الرسول بمثل هذا!

١ ـ الجوشن : الصدر أو الدرع . لسان العرب .
٢ ـ نوع من سلاح يتخذ لحماية الفرس .
٣ ـ السرادق : ماأحاط بالبناء أو مضرب أو خباء . لسان العرب .
٤ ـ حصن الناعورة : موضع بين حلب وبالس، بينه وبين حلب ثمانية أميال . معجم البلدان .
٥ ـ حصن الرافقه : الرافقة بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات . معجم البلدان .

فقال : لابد من أن تأكله، فعلم أنه لابد من ذلك فتناول الكتاب ومضغه حتى فرغ منه ثم قال له عُدْ إلى صاحبك وقل له لست ممن تخفى عليه أخبارك وتجوز تمويهاتك، ومابك حاجة إلى تجهيز العساكر فإنه سائر إليك، وخبره يأتيك من الرملة، وقدم بعد ذلك قطعة من عساكره إلى حمص، وعاد فائق إلى نزار بها أزعجه وأقلقه وأقام سعد الدولة بظاهر حلب أياما يرتب أموره فعرض له قولنج أشفي منه، وكان له طبيبان أحدهما يعرف بالنفيسي والآخر ينعت بنواويس فأشارا عليه بالرجوع إلى حلب وملازمة الحمام، فرجع وانتفع بذلك وصح فلما كان اليوم الثالث من صحته زين له البلد ليركب، فاتفق أن جاءته في ليلة ذلك اليوم حظية من حظاياه وكن له أربعمائة حظية، كان يهواها فما تمالك عند رؤيتها أن واقعها، فلما فرغ سقط عنها وقد جف نصفه الأيمن، وبادرت الجارية إلى أخته ست الناس بالخبر فاستدعت الطبيبين المقدمي الذكر فشاهداه وأشارا عليه بأن يسجر [1] الند والعود بين يديه .

ومن طريف كلام سعد الدولة أن النفيسي لما دخل عليه إلتمس أن يجس نبضه فناوله يده اليسرى، فقال يامولانا اليمين، فقال يانفيسي ماتركت لي اليمين يمينا، كأنه ظن الذى أصابه من جهة نقض اليمين التي حلفها لآل بكجور، وتوفي في هذه المرضة، والعجب أن والده سيف الدولة فلج نصفه الأيسر قبل موته، وفلج شق سعد الدولة الأيمن عند وفاته فاجتمع منهما شخصا مفلوجا، وكانت وفاة سعد الدولة ليلة الأحد لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وكانت مدة مملكته خمسا وعشرين سنة وسبعة أشهر، وأظن أني قرأت في بعض التواريخ أنه ولي ثلاث عشرة سنة، ولم أتحقق ذلك.

أولاده : أبو الفضائل، وهو الأكبر، وأبو الهيجاء .

كتابه : أبو الحسن علي بن الحسين المغربي، والمصيصي، وغيرهما .

حجابه : لؤلؤ الكبير الجراحي، وغيره [2] .

---

١ ـ يسجر : يوقد في التنور . لسان العرب .

٢ ـ لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي : ٤٨ ـ ٦٧ . زبدة الحلب : ١ / ١٦٩ ـ ١٨١ تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ط . بيروت ١٩٢٢ ص ١٧٤ . ذيل تجارب الأمم : ٢١٦ .

أبو الفضائل شريف بن سعد الدولة[1]

لما أدركت والده سعد الدولة الوفاة ولاه عهده وأوصى إلى لؤلؤ الجراحي وجعله مدبر جيشه ، وأوصاهما بالسيدة ست الناس أخته وبولده أبو الهيجاء عبد الله الصغير، وقد كان ابن المغربي لما حصل بالكوفة كاتب نزار يستأذنه في الانحياز إلى جملته فأذن له ، فسار إليه ووصل إلى مصر في يوم الخميس النصف من جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين ، وبلغ عند العزيز مرتبة عظيمة وصار مستشاراً في العظائم مؤتمنا على أسرار الوقائع ، وقد كان سائر أجناد سيف الدولة بايعوا ولده إلاّ ماكان من بشارة الخادم الاخشيدي المقدم الذكر [2] في أول أخبار سعد الدولة فإنه استأمن إلى العزيز نزار في نحو من أربعمائة غلام ووفا الصقلبي في ثلاثمائة غلام وغيرهم فقبل نزار جميعهم ، وكان يميل إلى الأتراك أكثر من ميله إلى المغاربة ولاسيما الحمدانية لما أعطاهم الله من شدة البأس وفضل النجدة ، ولما رباهم عليه مولاهم سيف الدولة من مباشرة الحروب ومصابرة الخطوب ورمي أنفسهم على العدو، فكان يلقى الجمع الكثير بالعدد اليسير حتى أن الدمستق نقفور بن فقاس كان يخَرج لكل رجل من عسكر سيف الدولة عشرة رجال من الروم آخذا بالاحتياط والحزم .

فلما وصل هؤلاء الغلمان إلى نزار ولى بشارة طبرية ، وولى وفا ثغر عكا وولي رجا قيسارية ، ولما توفي سعد الدولة أغرى ابن المغربي نزارا بأن يبعث جيشا إلى حلب ، وكان منير الخادم الذي تسلم دمشق من بكجور قد عصى عليه ، فبعث غلاما تركيا

---

١ ـ في الأصلين : سيف ، وهو تصحيف صوابه ماأثبتناه .

٢ ـ انظر ترجمته من كتاب المقفى للمقريزي، في ملاحق كتاب مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية : ٣٠٦ ـ ٣١٢ .

يقال له بنجوتكين في عسكر عظيم واستكتب له ابن المغربي، وأمره أن يبدأ بدمشق ويأخذها من منير، ثم يمضي بعد ذلك إلى حلب فسار ولقي منيراً وذلك في يوم الاثنين التاسع عشر من رمضان سنة إحدى وثمانين، فانهزم منير ثم أسر بعد ذلك ثم دخل بنجوتكين دمشق فأقام بها حتى انسلخت سنة إحدى وثمانين، ثم سار إلى حلب، وقد كان لؤلؤ كتب إلى بسيل ملك الروم وعقد بينه وبين أبي الفضائل ابن مولاه ماكان معقوداً بينه وبين مولاه سعد الدولة، فرسم بسيل للبرجي صاحب أنطاكية أن يكون ظهيراً له على كل من يقصده أو يطلب بلدا من بلاده، ولما تحرك بنجوتكين على حلب قاتلها مدة شهرين فلا يمكنه منها شيء، واستظهر عليه أبو الفضائل ولؤلؤ غاية الاستظهار فعاد عنها في شهر رمضان وولى حمص لمعضاد الحمداني.

فلما دخلت سنة ثلاث وثمانين سار بنجوتكين إلى حلب ثم عاد منها، فلما دخلت سنة أربع سار بعسكره وقد جمع واستعد ونزل على حلب وضايقها شهرين، فبعث لؤلؤ إلى البرجي صاحب أنطاكية يأمره بالمسير إليه، فجمع الروم وكان قد خرج إليه من بلاد الروم رئيس عظيم يقال له أصابع الذهب، فجمع الآخر معه مَنْ أمكنه وسارا بمن معهما حتى نزلا على نهر المقلوب بأفامية [1] فرجع بنجوتكين عن حلب ونزل بإزائهم، وكان عسكره أكثر من عسكرهم، فأشار البرجي بأن لايقاتلهم الروم وأبى أصابع الذهب ذلك، فقاتلوهم على شاطىء النهر، وقاتل رجل ديلمي على الشاطىء ثم إنه خاض في النهر طالبا عسكر الفرنج، والناس ينظرون إليه والسهام تقع فيه وهو لايرعوي، فلما وصل إلى شاطئهم وثبتت رجله، قاتلهم إلى أن ملك موضعا، وحين رأى عسكر بنجوتكين ما فعل الديلمي تراموا بأجمعهم إلى الماء، فانهزمت الروم وقتل منهم نحو خمسة آلاف ورجع البرجي إلى أنطاكية وعاد بنجوتكين إلى محاصرة حلب، وكانت هذه الواقعة في شعبان سنة أربع وثمانين، فحاصرها من شعبان هذا إلى ربيع الاول سنة خمس وثمانين، فاشتد الحصار عليها وأكل أهلها الأقوات التي عندهم، وكان لؤلؤ الجراحي لما رزقه الله من العدل يشتري الغلال من التجار بما يريدونه من الأثمان ويبيعه على الناس بما يرضيهم جمعاً بين المصلحتين، وقد

---

١ - بلدة إلى الشمال الغربي من حماه بقاياها مازالت قائمة، ويراد بالنهر المقلوب، نهر العاصي.

كانت أخبار هذا الحصار ترد على بسيل ملك الروم، وكانت له سنين كثيرة في بلاد البلغار وقد استحوذ على أكثرها فخاف على حلب وأسف على مجاورة بني حمدان، فسار وترك قتال البلغار وعاد إلى القسطنطينية فلم يمكنه أن يجمع عسكراً عظيما، فخرج في نحو أربعين ألفا من خواص أصحابه يركبون البغال الرهاويز [1] ويجنبون الخيل، وسار لايلوي على متأخر ولايتوقف على منقطع، ووصل إلى أعزاز من القسطنطينية في سبعة عشر ألف وقد تقطع منه ثلاثة وعشرون ألفا، والمسافة التي قطعها في هذه المدة تقطع في شهرين [2] وهذا شيء لم يسمع بمثله، وعزم على أن يكبس بنجوتكين وبعث رسولين إلى حلب ليخبر أبو الفضائل بمجيئه ويعرفه أن يكبس عدوه في سحر اليوم الثاني من نزوله، فوقع أحد الرسولين، لبعض عسكر بنجوتكين فأحضروه إليه فلما علم الخبر انهزم من ظاهر حلب بعد أن أحرق خزانة سلاحه، وأنهب أمواله وامتدت به الهزيمة إلى دمشق .

وسار بسيل فنزل على حلب ورأى مما بناه عسكر بنجوتكين ماهاله وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ فحدثاه وشكراه على فعله، ثم سار عنهما في اليوم الثالث، ونزل على حصن شيزر وفيه منصور بن كراديش أحد قواد نزار فأخذه ورتب فيه عسكرا من أصحابه وسار إلى حمص فأخربها وأخذ منها ومن ضواحيها زائدا على عشرة آلاف إنسان وأُخذ رفينة، وسار فنزل على طرابلس، ثم رحل عنها فعمر في طريقه [حصن] انطرسوس وجعل فيه خيلا من أصحابه وجماعة من المسلمون من أهل جبل ابن مسعود، ثم عاد إلى مدينته وبلاده وانعقد بعد ذلك بين نزار وبين أبو الفضائل صلح في سنة خمس وثمانين وورد عليه كتاب الصلح مع مختار الحمداني وكان المتوسط بينهما بدر الحمداني وأقام الأمر على ذلك إلى أن توفي لؤلؤ الحمداني .

ولم أسمع بعد ذلك خبراً لأبي الفضائل إلاّ أن ابن لؤلؤ الجراحي كان يدبر أمر حلب على أيام الحاكم إلى آخر أيامه .

ففي شوال سنة أربع وأربعمائة، كتب له سجل من قبل الحاكم، بتمليكه حلباً

---

١ ـ أي الخفيفة الحركة ـ انظر لسان العرب .

٢ ـ سقطت عبارة « تقطع في شهرين » من نسخة غ .

وتلقيبه بمرتضى الدولة، فلا أعلم ذلك في حياة سيده أبي الفضائل أو بعد وفاته أو عندها، والظاهر أنه كذلك وبالجملة فلم يك بعد أبي الفضائل أحد من آل حمدان بل انقرضت دولتهم بزوال دولته .

جامع أخبار الدولة الحمدانية

الدولة الحمدانية كما ذكرناه في فخذين [1]من الثابت [2]وهما مجتمعان في عبد الله أبي الهجاء فالفخذ الأول منهما هو ناصر الدولة وبنية وقاعدة مملكته الموصل وله غيرها من البلاد كآمد وديار مضر - وربيعة - وسنجار وبلاد غيرها لاتحصى .

وانقرضت دولتهم من الموصل بخروج أبي تغلب عنها وافترق أبناء ناصر الدولة فبعضهم دخل في طاعة عضد الدولة وبعضهم في طاعة العزيز نزار صاحب مصر، وبعضهم في طاعة ابن عمهم أبي المعالي شريف، وكذلك برسم [3]ناصر الدولة من البيت فيمن سار إلى مصر أبو عبد الله الحسين ناصر الدولة وأخوه المطاع ذو القرنين، وولد الحسين وولده ناصر الدولة الحسن، ويكنى بأبي محمد وكان رجلاً شديداً عاقلاً، وولد له بمصر ناصر الدولة الحسن بن الحسن، وهو الذي شلت يده في وقعة الفنيدق الكائنة بينه وبين تاج الملوك نصر بن صالح الكلابي ملك حلب ثم ولاه المستنصر بعد ذلك دمشق فقال فيه الفكيك الحلبي شعر . . .

على حلب به حلبت دماؤكم   وحكم فيكم الرمح الأصم

وقد سيرته إلى دمشق يد   شلا وأمر لايتم

---

١ - من أجل المزيد من التفاصيل مع بقية أخبار الدولة الحمدانية، ثم صراعات بقايا بني حمدان الذي استقروا مع الدولة المرداسية، انظر زبدة الحلب : ١ / ١٨٥ - ٢٧٨ .

٢ - في ع « في محدث من » وهو تصحيف لعل صوابه ماأثبتناه .

٣ - في ل « في محذث من النات » وهو تصحيف لعل صوابه ماأثبتناه .

وكان ناصر الدولة ـ رفيع الدولة والشأن عظيم السلطان .

والفخـذ الثـاني سيف الـدولة وبنوه ولما خرج الموصل بالسبب الذي ذكرناه وحصل بيد عضد الدولة بقي ماكان لشريف بن سيف الدولة ولم يتعرض إليه إلى أن حصل ذلك للمغاربة بعد وفاته ثم حصل لهم جميعا .

تمت الدولة الحمدانية

٤ ـ في غ « وكذلك من كان برسم ناصر الدولة . . » وشطبت «من» كي يستقيم السياق .

الفهارس العامة

المحتوى